عبير

1174

١١٧٤

www.elromancia.com

مرمورية

لحظة جنون

Nahas

صادر عن دار م. النحاس

لحظة جنون

هل اعتبرت، خطأ، ان تصرفه كان بدافع اللطف؟

وجب على ساندرا مواجهة الحقيقة بشأن ريمون جوردين. كان يتودد إليها لأنها والدة كاتي فقط. وكاتي ليس ساندرا هي التي تهمه. ولكن ذلك لم يسهل عليها الأمر عندما وجدت نفسها بين احضانه.

كان ريمون رجلاً جذاباً، وبرغم انها نسيت منذ وقت طويل كل ما يتعلق بالرجال، كان قلبها يخفق بسرعة كلما رأته.

من المحتمل انه لم يقع في حب ساندرا، ولكن هل هي وقعت في حبه...

هل اعتبرت، خطأ، ان تصرفه كان بدافع اللطف؟

وجب على ساندرا مواجهة الحقيقة بشأن ريمون جوردين. كان يتودد إليها لأنها والدة كاتي فقط. وكاتي ليس ساندرا هي التي تهمه. ولكن ذلك لم يسهل عليها الأمر عندما وجدت نفسها بين احضانه.

كان ريمون رجلاً جذاباً، وبرغم انها نسيت منذ وقت طويل كل ما يتعلق بالرجال، كان قلبها يخفق بسرعة كلما رأته.

من المحتمل انه لم يقع في حب ساندرا، ولكن هل هي وقعت في حبه...

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل - سوريا: ١٠٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

52-87000-34707-5

لحظة جنون

« انت تشعرين بالبرد، ربما يجب علينا العودة.»
العودة... لو فقط تستطيع ساندرا ان تعود إلى ما كانت عليه، قبل ان تقابل ريمون.
لقد عرفته منذ أربعة وعشرين ساعة. ومع ذلك غيرت هذه الساعات حياتها الى غير رجعة. غيرتها، وأظهرت لها مكنونات نفسها الخفية، وعواطفها الدفينة، التي لم تكن تعلم بوجودها.
لو عرفت أكثر عنه، قبل ان تقابله. لو كان لديها الوقت كي تحضر نفسها... ولكنها ادركت ان ليس بإمكانها ان تقوم بأي شيء كي تحمي نفسها من العدو الذي يعيش بداخلها

الفصل الاول

حملقت ساندرا بتوتر الى ساعة الحائط. يجب ان يصلا خلال نصف ساعة تقريبا. حوالى نصف الساعة ويصلان معاً. امرأة جميلة بشعرها الأسود الداكن، لم تتجاوز السادسة والثلاثين من عمرها، تحاول جاهدة ان تخفي انزعاجها حين تسمع الآخرين يطلقون عليها ذات الجسم الصغير ويستطردون أنها تبدو أصغر بكثير من اعوامها الستة والثلاثين، من دون ان يضيفوا انها أما لفتاة كادت تبلغ عامها التاسع عشر.

إلا انها فعلاً كذلك. وكم لتلك الفاتنة الذكية كانت قلقة حول الترتيبات التي أعدتها لاستقبال كاتي، في أول زيارة لها من رحيلها الى الجامعة في نهاية الصيف الماضي.

حاولت جاهدة ان تلتقط انفاسها وتهدىء اعصابها وان تقنع نفسها بأن ليس هناك ما يدعو الى القلق. إلا ان تذكرها لمكالمة كاتي الهاتفية قبل ثلاثة أيام اشعلت توترها من جديد، حيث اعلمتها بأنها لن تحضر بمفردها لتمضية عطلة نهاية الاسبوع، بل سيرافقها صديق لها. لقد تعودت ساندرا على تصرفات ابنتها، ولم يخفها ميلها لإقامة الصداقات والاختلاط بالآخرين، إلا ان ما لم تكن تتوقعه أو تألفه من ابنتها ان تتابع تلك الأخيرة بحماس شديد:«إني اعلم انكِ سوف تحبين ريمون، يا أمي. إنه رجل مميز جداً،

وإني انتظر بشوق اللحظة، التي ستلتقيان فيها.»
تسارعت دقات قلبها بعد انتهاء كاتي من حديثها، ومع أنها استطاعت ان تخفي توترها وانفعالها عن ابنتها إلا ان شعوراً جارفاً بالخوف كان قد غمرها.
صحيح ان كاتي عقدت الكثير من الصداقات في السابق. بعضها مع المشاكسين والمشاغبين... منهم من كان خجولا وصبيانيا... إلا ان هذه المرة تختلف.
شعرت ساندرا بشكل غريزي وكأن احداً ينذرها بسوء ما، ان ابنتها يتهددها خطر ما.
لقد شعرت من الطريقة التي لفظت بها كاتي اسم ريمون أنه يعني لها الكثير. انه مهم عندها... مهم جداً... شعرت برعشة خفيفة وهي تنظر بعبوس الى غرفة الجلوس.
لم تستطع قط ان تفهم اولئك النساء اللواتي يدّعين انهن وبناتهن المراهقات من أفضل الصديقات. لقد عانت ساندرا كثيراً في حياتها الماضية مما زاد في خشيتها من عواقب الحياة ومصاعبها. والمسؤولية التي رزحت تحت حملها باكراً، عجزت عن دفعها بالادلاء بمثل هذا الاعتراف.
تمنت لو لم تكن تلك الأم الاستحواذية. طيلة فترة رعايتها لكاتي كانت تحاول جاهدة ان تلغي المسافة بينها وبين زميلاتها. كانت تحاول دائماً ان تجنبها الوحدة والعزلة التي قاست هي منهما في طفولتها.
المشكلة، ان كاتي بدت غريبة جداً في حديثها عن ريمون جوردن، وهي لم تشأ ان تسألها عنه بشكل

مباشر. كل ما عرفته عنه هو ان كاتي التقت به في الجامعة وأنها كانت متأكدة من أنه وأمها سيتفقان.
بدا لها هذا غريباً جداً. وراء لا مبالاة كاتي وثرثراتها يقبع سر خفي.
عادت ساندرا تدقق من جديد في غرفة الجلوس وهي تعض شفتها العليا بتوتر.
قرب الموقد حيث اشتعلت نار دافئة، وضعت ساندرا سلة تجمعت فيها أكوام الحطب، احضرها طوم رولتر من المزرعة المجاورة. ذلك الرجل الذي لطالما دعته كاتي بصديق أمها الريفي، فقط لمضايقتها وإزعاجها.
صحيح ان ساندرا كانت من فترة لأخرى تخرج برفقة طوم للعشاء او لحضور حفلة موسيقية، فهو أرمل له ولدان فتيان، وهي ايضاً... أم لشابة يانعة، وكان من الطبيعي ان تجمعهما بعض الاشياء المشتركة.
لكن علاقتهما لم تتجاوز ذلك الحد. لحسن حظها كان طوم رجلاً لائقاً، مهذباً، بعيداً عن ان يفرض عليها مطالب معينة لطالما ارعبتها وألقت الخوف في نفسها.
لذا كانت صدمتها عنيفة منذ ثلاث سنوات، حين طلبت منها كاتي وببرودة شديدة، ان تكف عن التصرف وكأنها غير مرغوب بها، بل بخلاف ذلك، يجب عليها من الآن فصاعداً ان تبدأ بالشعور بالفخر لما قدمته لهذا الطفل.
«أمي، في كل مرة ينظر إليك رجل ما تحمرين خجلاً بصورة فاضحة. انت امرأة جذابة جداً. هذا ما يؤكده

الجميع، وأنا طبعاً لن أمانع إذا قررت الزواج مرة ثانية، شرط ان تختاري زوجاً أوافق عليه أنا.»
قالت ساندرا بإصرار:«حسناً، لمعلوماتك الشخصية، ليس عندي أي نية للزواج مرة ثانية.»
أجابت كاتي بحدة:«لا؟ يجب ان تفكري جدياً بهذا الموضوع.» ثم اضافت بتهكم:«فقط أنظري الى نفسك. منذ ان وعيت على هذه الدنيا ولم يكن هناك احدٍ سواي وسواك وطبعاً جدي. اعرف انه مريع لك جداً ان تفقدي أبي في مثل ذلك الحادث المؤلم ثم تكتفين بأنك حامل بي. لكني لا استطيع ان اتصور أنه فقط وبسبب ذلك عليك ان تمضي بقية حياتك تختبئين من الرجال.» ثم تابعت بقسوة:«انك تعلمين انه لن يكون باستطاعتك تمضية بقية حياتك وحيدة. حتى جدي قد رحل...»
تمتمت ساندرا بجفاف:«معك حق. لكن إذا كنت قلقة من ان تعيشي في كنف أهل ينتقدون تصرفاتك وأسلوب حياتك فإني اؤكد لك، بأنك لست بحاجة لأن تفعلي.»
انفجرت كاتي ضاحكة تاركة الموضوع معلقاً في الهواء. إلا انها كانت تعود إليه في فترات متلاحقة من وقت الى آخر، كلما كانت تشعر باقتراب موعد بدء جامعتها ورحيلها عن المنزل.
كررت كاتي أكثر من مرة:«انت شابة جداً. والرجال دائماً يعجبون بك، إني ارى نظراتهم إليك، إنما انت... حسناً، إنك تتصرفين بخجل.»

توردت ساندرا، وعندما حاولت ان تعترض عبست كاتي وأضافت:«انظري الى نفسك الآن وفوراً بالمرآة، تعرفين ماذا اعني، أي شخص قد يعتقد أنه ليس لك أي خبرة مع الرجال.»
صرخت ساندرا بصوت قاطع:«كاتي.» للوهلة الأولى هدأ إسكاتها لكاتي من غليانها، ولكن لاحقاً وهي وحيدة في غرفتها تحملق من خلال النافذة بالجهة المقابلة من بلدة تشاير الصغيرة، التي طالما ألهمتها في عملها كمصورة لقصص الاطفال، كانت مجبرة على ان تعترف بأن كاتي على صواب. فهي وبشكل لا إرادي لا ترتبك أمام أي رجل لم تقابله سابقاً، لطالما كانت خجولة ومنكمشة على ذاتها، بخلاف كاتي التي تتمتع بشخصية قوية وثقة ذاتية عالية.
اما بالنسبة لتجاربها. تذكرت حديثها الاخير مع ابنتها، فتنهدت بتوتر، وبطريقة لا واعية ألقت بالوسادة الجميلة، التي عملت على تطريزها الشتاء الماضي، على الغطاء القديم الذي غلف مقعد والدها المفضل.
لغاية الآن، وحتى بعد مرور خمسة أعوام على وفاته، مازالت عاجزة عن النظر الى هذا المقعد ورؤيته خالياً.
الجلطة التي أصابت والدها وأقعدته بعد اربع سنوات من انتقالهم شمالاً الى لندن، اجبرتها على الاهتمام به ومراقبته بشكل متواصل، ولم يكن عملها هذا إلا محاولة منها لترد ولو جزءاً بسيطاً مما فعله لها ولابنتها.

www.elromancia.com

فقد وجد نفسه وهو في الثانية والاربعين من عمره، مسؤولا عن تربية ابنة لم تتجاوز الاربعة أيام بعد وفاة زوجته، أي أمها، التي ماتت على أثر مضاعفات في الولادة، اخبرها يوما والدها بذلك بأسى شديد، وأنه لم يكن لا هو ولا أمها يتوقعان ان ينجبا ولدا يوما ما. لذا كانت ولادتها بمثابة الصدمة لها.

إلا ان والدها أحبها وفعل ما بوسعه في سبيل اسعادها، ومع أن عمله كمحام كان يتطلب الكثير من وقته، إلا انه كان حريصا على تمضية عطلات الاسبوع معها، كما كان حريصا على إيجاد مدبرة منزل لتهتم بها وبالمنزل ذي الطراز الفيكتوري القديم حيث نشأت.

عاشت حياة هادئة جداً في بيت دافىء ومحافظ، إلا أنها كانت دائما فريسة الوحدة والملل، وحتى أثناء ترددها الى تلك المدرسة الصغيرة الخاصة للبنات، لم تكن تسنح لها الفرصة ابدا لإقامة الصداقات او الاختلاط مع فتيات في مثل سنها لانشغالها من عزلتها، فقد كانت السيدة ميروز تأتي يوميا لاصطحابها الى المنزل.

التقت بجيمي وما كادت تبلغ السادسة عشر من عمرها. كان يتردد الى مدرسة قريبة من مدرستها. وفي احدى المرات كاد ان يصدمها بدراجته ومنذ ذلك الحين أبصرت صداقتهما النور.

بقدر ما كان جيمي شابا جسوراً لامعاً بقدر ما كانت ساندرا خجولة جداً ومنطوية على ذاتها. ومما لا شك

فيه انها قد اخذت منه في ما بعد، ذلك الجانب المرح الموجود في شخصيتها الآن.

احبته ساندرا بجنون، تعلقت به الى حد الجنون وبالتالي كانت توافقه بشكل اعمى على كل اقتراحاته وتصرفاته.

لم يكن جيمي ذلك الشاب الوقح او القاسي بل كان يبعد كل البعد عن هذه السمات، إلا أنه كان فتيا جدا كي يتبصر بالمخاطر والصعوبات او المفاجآت التي تخبئها الحياة لهما.

إنها تعود الآن بذاكرتها الى الوراء. كان من الصعب عليها جدا ان تتفهم كيف انها وبعمر السادسة عشرة وقعت في غرام جيمي الى هذا الحد. لقد اعتقدت انها وجدت فيه مخرجا من وحدتها القاتلة التي تعيشها. كان جيمي بالنسبة اليها الصديق، والأخ، وحتى الأم، التي لم تنعم ساندرا ابدا بحنانها.

كان جيمي يعرف كل شيء وكل الاشخاص... لقد علمها اموراً كثيرة كانت تجهلها. نبهها الى حقائق الحياة العديدة، شجعها على ان تستفيد من انشغال والدها المتواصل لتقابله سرا كل مساء... وتمضي معه ساعات في غرفته الصغيرة داخل البيت الذي تقاسمه مع أهله وإخوته وإخوانه.

عائلة غارنر كانت عائلة كبيرة وعادية جداً. أني غارنر، والدة جيمي كانت تعمل كممثلة. أما والده، طوني غارنر، فكان مديراً لإحدى الشركات وكانا نادراً ما يلتقيان او يتواجدان في البيت، اما اولادهما الخمسة

فقد تركت تربيتهم، تحت رحمة جليسات الأطفال المهملات والاقرباء الزائرين.
آني لطالما قابلتها بالابتسام عندما كانت تراها في منزلهم، لكنها كانت دائمة الانشغال حتى ان ساندرا كانت تشك في انها تعرف اسمها. فهي لم تكن تلك الأم التي تهتم وتدقق بعلاقات وصداقات اولادها. أما بالنسبة لساندرا فما كان يعنيها فقط هو انها كانت في ترددها الى منزلهم، مقبولة في ما بينهم ومرحب بها، اما محاولتها في انتقاد طريقة آني في تربية اولادها، فهذا ليس من شأنها.
لقد كانت ساندرا الى حد ما ساذجة، غبية، لكنها مع ذلك كانت تدرك وتعي المخاطر التي تجتازها وتخضع لها في علاقتها مع جيمي.
لقد كانت صدمتها عنيفة عندما لمسها جيمي وعانقها للمرة الأولى، ابتعدت عنه وكأن تياراً كهربائياً لامسها.
والدها لم يكن من ذلك النوع من الرجال، كما ان السيدة ميروز كانت من السيدات المتحفظات التي طالما انتقدت الفتيات وتصرفاتهن.
لذا ابتعدت فوراً عن جيمي، وبسرعة تركها وأخذ يراقبها بفضول وبعينين ضاحكتين، كان يكبرها فقط بسنة واحدة ولكن إذا كانت السنين تقاس بالخبرات فقد كان يكبرها بعشرين سنة.
سألها بحنان:«ما بك؟ الا تحبين ان اعانقك؟»
هزت رأسها نفياً.
قال لها بصوت رجولي:«هذا لأنك لا تعرفين كيف

تسير الأمور. قريباً جداً سوف تعتادين على ذلك...»
بسرعة كبيرة اعتادت على ذلك. اعجبها ان تكون بين ذراعيه وأن يكون لها شخص خاص، لها وحدها يحبها ويفكر فيها ويعاملها بما عجز والدها او السيدة ميروز على معاملتها.
في الواقع اصبح جيمي شيئاً هاماً في حياتها، ضرورياً... لقد ملأ الفراغ الذي طالما عانت منه، لقد أوجد فيها شعوراً بالفرح، جعلها تقدر ذاتها. كل ذلك جعلها عاجزة عن رفض أي اقتراح او طلب قد يطلبه منها حتى ولو كان ذلك الطلب الذي كان من الضروري ان ترفضه.
كان حنوناً جداً. ومع انها شعرت بعد ذلك بإحراج شديد، خجلت من نفسها وندمت على دخولها في هذه التجربة. ثم ما لبث ان رافقها الى البيت على دراجته الجديدة التي اشتراها هو نفسه من الأموال التي وصلته كهدية في عيد ميلاده.
لقد كان كلاهما مسافرين الى الخارج يوم عيد ميلاده. والدته كانت تقوم بجولة لتعرض فيلمها الجديد. أما والده فلقد كان مسؤولاً عن إدارة فيلم تلفزيوني في اليونان، إلا ان كلاهما أرسلا له بطاقات معايدة مع مبلغ سخي من المال حول الى رصيده الشخصي في المصرف.
اشترى الدراجة بهذا المبلغ وكان فخوراً جداً بها. دراجة صخمة قوية كرهتها ساندرا وجفلت منها ما ان رأتها، إلا انها كانت بعيدة عن ان توضح عن

شعورها الحقيقي له. أحب جيمي هذه الدراجة، وهي كانت تحبه وبالتالي كان عليها ان تحب الدراجة. ودعها أمام باب منزلها مساء ذلك اليوم ثم طبع قبلة سريعة على خدها قبل ان تستطيع التخلص منه. نظرت فورا الى البيت نظرة قلقة خائفة من ان يكون والدها قد رآها.

ضحك من خوفها ورعبها من والدها، وقلقها من أن يراهما معا. سألها جيمي بفضول:«ماذا لو فعل؟ هل هذا يهم؟ هل هو يمنعك من الخروج معي؟»

اجبرها كلامه على ان تهز رأسها نفيا. خروجها او عدم خروجها مع الشباب كان موضوعا لا يمكنها معالجته مع والدها. وحتى مجرد التفكير بالموضوع يجعلها ترتجف خوفا. والدها لم يكن صارما او قاسيا معها بل لطيفا متفهما حنونا، ومع ذلك كانت تشعر بأنه من المستحيل ان تخبره عن جيمي. لماذا تخافه؟ لم تكن لديها فكرة حقيقية... ما كانت تدركه فقط وبواسطة غريزتها الانوثية، انها مازالت بالنسبة لوالدها تلك الفتاة الصغيرة المدللة التي طالما تمنى ان تبقى كذلك.

رغم انه وعدها بأن يكلمها بالهاتف، إلا انها لم تسمع من جيمي أي شيء ذلك المساء ولا حتى في اليوم التالي. وعندما ذهبت الى المدرسة صباح يوم الاثنين، فاجأها الخبر المفجع الذي كان حديث الجميع. مات جيمي... قتل في حادث عندما عجز عن السيطرة على دراجته، تلك الدراجة التي طالما افتخر بها.

ورقة صغيرة أرسلت الى رئيسة الطالبات بشكل عاجل حملت الخبر المؤلم. كما ارسل بطلب والديه، وعرف جميع من لهم علاقة به... إلا هي.

امضت بقية نهارها تائهة، خائفة، الى ان حان موعد عودتها الى البيت.

ما ان وصلت حتى شعرت بقواها تتخلى عنها، ووقعت مريضة غير واعية لشيء... عاجزة عن تقبل ما حدث، عاجزة عن التفكير بأنها لن ترى جيمي بعد اليوم.

لم تذهب الى المأتم... شعرت بأنها عاجزة عن اختراق حزن العائلة كدخيلة، إلا انها وجدت نفسها في اليوم التالي أمام المدفن. وضعت زهرة صغيرة على قبره. حملت أملها وحزنها وتلت صلواتها الخاصة من أجل حبيبها.

كان قد مضى اربعة اشهر على موت جيمي، حين علمت انها حامل، الذي اكتشف ذلك كان احد اساتذتها الذي ادرك الحقيقة وحاول ان يسألها عن ذلك بطريقة لبقة.

من حسن حظها، تقبلت العائلتان نبأ حملها بطريقة حسنة، وعندما اعلنت انها تريد الاحتفاظ بالطفل، طفل جيمي، لم يحاول احد إجبارها على خلاف ذلك. في ما بعد، وعلى الرغم من اهتمام والدها ورقته في معاملتها، إلا انها كانت تشعر انها وبطريقة ما خذلته، صدمته، فلم يكن هذا ما كان يتوقع من ابنته الصغيرة.

ما لبث شعورها بالذنب ان تعمق أكثر وأخذ بعداً أكبر

حين أعلن والدها بعد مرور شهر على ولادة كاتي، انه سوف يبيع حصته في المكتب ويحصل على تقاعد. ثم يرحلون ثلاثتهم معا الى لندن.
على الرغم من تأكيداته العديدة وإصراره على بقائهما معه، هي وكاتي، وعلى الرغم من انه قد ساندها ووقف بجانبها، إلا انها شعرت وبطريقة ما أنها السبب في رحيلهم، وان تربيته لحفيدته هي ما يشعره بالإحراج ويدفعه لإقامة كل هذه التعديلات في حياتهم.
ما كادت تبلغ السابعة عشرة، وكفتاة في مثل سنها، كانت ابعد من ان تكون قادرة على تحمل عبء ترك المنزل والعيش بمفردها مع ابنتها، حتى لو كانت لديها نية القيام بذلك...
لم يكن هناك طبعاً من مجال لتكملة دراستها، وعند ولادة كاتي لم تعد هي نفسها راغبة بذلك. اصبحت ابنتها هي محور كل حياتها.
حين استقالت السيدة ميروز اضطرت ساندرا لأن تحمل على عاتقها عبء إدارة المنزل. فوجئت من قدرتها على التعامل مع عملها الجديد ومدى اكتسابها من المرأة العجوز. تلك المرأة التي لم تجبرها يوما على مساعدتها لذا وبعد رحيلها، اقسمت على انها لن تدع والدها وحيداً، سوف تفعل اي شيء لارضائه، لتعوض عليه ذلك الألم الذي ألحقته به.
قرر والدها الإنتقال الى تشيشاير بالذات، لم يوضح لها ذلك ابدا، لكن ساندرا كانت أبعد من ان تهتم بوجهة انتقالهم.

مع انتقالهم، أحبت قرية تشيشاير بحقولها الجميلة، ومناظر منحدر الدرلي البعيد، وتلال ولش الرائعة. لكنها وبعد وصولهم، فوجئت باقتراح والدها بأن تدعي انها كانت متزوجة من جيمي، مما دفعها لأن تعارضه بقوة وبشكل لا إرادي.
حتى لكي ترضي والدها، كانت ساندرا غير مستعدة لأن تعيش في ظل مثل هذه الكذبة. علمت انها سوف تقابل دوما من يدينها ويحتقرها لإنجابها لكاتي، لكنها كانت تعلم انها بالمقابل لا بد وأن تقابل من يتفهمها ويؤاسيها ويقبل بكاتي على أنها كانت ضحية حادث مؤلم.
لم تلاحظ ساندرا إلا حين بلوغ كاتي سنتها الخامسة كم كان والدها حساسا تجاه وضعها كأم غير متزوجة.
كونه لم يعد للموضوع اطلاقاً، أملت بأنه مثلها تقبل وضع كاتي وحتى لو لم يكن هذا الوضع المثالي لفتاة شابة لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها. وما زاد في قناعاتها بذلك، ان كاتي بحد ذاتها كانت حدثا جميلا في حياة والدها، عوضت عليه غياب أمها. إلا أنها في ظهيرة أحد الأيام، التقت صدفة، وأثناء احضارها لكاتي من المدرسة، روبرت بولتون. كان رجلا جذابا يكبرها ببضع سنوات ومثلها يمر على المدرسة لأخذ ولديه الإثنين اللذين أخذ حق الوصاية عليهما بعد ان طلق زوجته.
تجاذبت أطراف الحديث معه بإنتظار وصول كاتي

ولم يخطر في بالها، ولو للحظة واحدة، أنه قد يسيء فهم تلك المحادثة القصيرة التي جرت بينهما أمام باب المدرسة الخارجي، لم تفكر ابداً بأن وضعها كأم غير متزوجة وكوالدة لطفلة قد يضعها موضع الشبهات ويجعل منها امرأة تودّع رجلاً لتستقبل آخر.

إلا انها وبعد ان عادت الى المنزل وفي ذلك المساء نفسه. عندما أتى روبرت بولتون محاولاً اصطحابها للعشاء. انفجر والدها غاضباً، وعارض تلك الفكرة معارضة تامة. ومع أن ساندرا لم يكن لديها نية قبول دعوة روبرت للعشاء، إلا أنها وقفت مذهولة أمام اعتراضات والدها وثورة غضبه ووجدت نفسها مجبرة على ان تسأله، وأن تلح في سؤاله حول سبب غضبه، بسبب معارضته العنيفة.

جاء جوابه في بادىء الأمر مبهماً، غير محدد. أخبرها وقد اسود وجهه من الغضب انه عليها ان تكون حذرة حتى لا يجعلها الناس موضوعاً للثرثرة.

سألته بتعجب وعدم فهم:«تثرثر، تتكلم عن ماذا؟»

لأول مرة يفقد والدها السيطرة على نفسه. تملكه غضب مخيف، وذكرها بحنق بأنها غير متزوجة وبأن لديها طفلة. أليس ذلك العار هو سبب وجودهم هنا، بعيداً عن لندن؟ هذا العار لا يمكن نسيانه بشكل تام. فالناس تتكلم، تعرف.. وإذا بدأ الرجال يتصلون بها في البيت...

عندها فهمت ساندرا، وبهدوء ولكن بحزم اغلقت باب قلبها الذي قد يدفعها الى التورط في علاقة راشدة

مع أي رجل. فهذه العلاقة التي قد تنعش مشاعرها وأحاسيسها كامرأة هذه العلاقة التي طالما حلمت بها وحسدت الكثير من النسوة لإمكانية مشاركتهن الحياة مع أزواجهن، ليست لها، الآن فهمت أنها ابداً لن تكون من حقها. في نظر والدها، ستبقى موسومة طيلة حياتها بولادة كأتي. ومن يعلم كم غيره من الرجال يفكرون بهذه الطريقة، ويشعرون بأنها سهلة المنال.

هذا ما كان والدها يحاول إيصاله لها حتى ولو كان محرجاً جداً، في ان يقول ذلك بصراحة. كأم لطفلة غير شرعية، لديها سمعة سيئة. الرجال يتقربون منها فقط بسبب هذه السمعة، فقط لأنها امرأة وحسب. حتى ولو كان ذلك غير صحيح لا يمكنها ان تخاطر بإيذاء والدها وإغضابه مجدداً، بقيامها بما قد يراه امراً يثير الاقاويل حول أخلاقها.

ذكرت نفسها بأنها كانت محظوظة جداً، لأن والدها كان مستعداً لإيوائها في بيته، ودعمها مادياً. ذلك أنه لولا هذا الدعم والكرم لما كانت حبيبتها كاتي تنعم بنمط الحياة الذي تعيشه الآن. بيت جميل، رعاية تامة، محيط هادىء. عاشت فيه ونشأت بفضل احوال جدها ودعمه لهما. من دون والدها وتأمينه لمتطلباتها لكانت حياتهما صعبة جداً. لم تعد ساندرا في السادسة عشرة من عمرها الآن. فهي اصبحت تعلم بشكل حسن كم هي الحياة صعبة بالنسبة للأمهات الوحيدات. كم هي محظوظة. وأقل ما يمكنها ان تفعله هو ان تحفظ

الجميل لوالدها وذلك بإحترام رغباته والانزواء في البيت معه، تعامله وتراعيه ومع ذلك، هل كان صعباً عليها تقبل مثل هذا الوضع؟ حسنا، لم يكن هناك أي رجل في حياتها... لكن لديها حبيبتها كاتي. لديها والدها، ومنزلها الجميل، كما كانت تحاول بتأن إيجاد بعض الاصدقاء الجدد.

وإذا مازالت على ما كانت عليه عندما حملت بكاتي، هل كان ذلك يزعجها حقا؟ ما تكاد تتذكر شعورها وإحساسها عندما كانت مع جيمي، كل ما تستطيع تذكره الآن انها لم تتمتع بتلك التجربة، كما انها لم تشعر بأي رغبة حقيقية لأن تكررها من جديد. ما جذبها وأفرح كيانها هو ذلك الشعور بالألفة التي نشأت بينها وبين جيمي. في ما بعد، الطريقة الحنونة التي عانقها بها، لكن كل ذلك الآن كان بمثابة ذكريات مبهمة، ذكريات فتاة، وليست ذكريات امرأة... وإذا كان الثمن الباهظ الذي عليها ان تدفعه لتحافظ على راحة بال والدها وتحمي في الوقت نفسه كاتي، هو بقاءها في شرنقة منعزلة، حسنا، فليكن.

حاولت ساندرا طيلة السنين التي مرت، ان تحافظ على علاقتها الطبيعية مع أهل جيمي. اعترفوا كلهم بكاتي ابنة له، وبالتالي فقد أمضيا العديد من العطلات برفقة والدته، ذلك أنها كانت قد تطلقت من والده لاحقا. أما بالنسبة لبقية أفراد العائلة، فقد كبروا وتزوجوا وأنجبوا الأولاد، وعملت ساندرا بجهد ان تبقى كاتي على اتصال معهم.

لم تكن تريد لكاتي عذاب الوحدة التي طالما عانت هي منها، لم تكن تريد لكاتي ان تقع فريسة الاهتمام الزائد والقيود المميتة. لم تكن تريد منها ان تكرر الاخطاء نفسها التي وقعت هي فيها، واقترفتها من دون ان تعي ذلك، لم تكن تريدها ان تتفتح بسرعة، ان تنجرف مع نزواتها، ان تركض وراء الحب الزائف وتخطىء في فهم رغبات الشبان اليافعين، وبالتالي لم تكن تريدها ان تصل الى الخطأ المدمر نفسه، الذي وقعت هي فيه من قبل.

لكن كاتي تختلف عنها، هي بنفسها اخبرتها ذلك عندما بدأت بالخروج مع اصدقائها الشبان. ونوعا ما مع شعورها بالذنب، اكتشف ساندرا أنها كانت فرحة بموت والدها، قبل ان تصل كاتي لهذه المرحلة من عمرها، ذلك انها لم تكن تريده ان يزرع في كاتي تلك العقلية التي زرعها فيها. لم يكن سهلا عليها تحمل رؤية اصدقاء كاتي يزورونها في البيت. لكن جل ما كان يمكنها ان تفعله هو ان تصلي لكي تكون كاتي قوية كفاية، ناضجة لكي تتخلص من أي ارتباط عاطفي او علاقة معينة حتى تبلغ سنا ملائمة تستطيع فيها تحمل عواقب أي تجربة او التزام ما.

لغاية الآن كانت محظوظة. فكرت بذلك وهي تتلمس بنعومة وسادة اخرى من وسائدها. حتى الآن لم ترتبط كاتي بأي علاقة حقيقية. لكن بالنسبة لها، لديها خوف قاتل من ان تكرر كاتي غلطتها هي.

لم تكن تريد لحرية وفرح كاتي ان تغتصب كما

اغتصبت مشاعرها وحياتها. وكانت تريد لها كل شيء لم تحصل عليه.
كانت تود لها الافضل في كل شيء. التربية الحسنة، القوة والثقة بالنفس، التي قد تساعدها لاحقاً في بناء حياتها.
علت وجهها ابتسامة حزينة. الفنون كانت موضوعها المفضل في المدرسة. وفي ما مضى كانت تأمل ان تلتحق بجامعة للتخصص في هذا المجال. لكن انجابها لكاتي وضع حداً لكل ذلك. مع ذلك، ما لبثت ان وجدت طريقة للإستفادة من هذه الموهبة، حتى لو اكتشفت ذلك متأخرة بعض الشيء.
بعد موت والدها، وشعورها العميق بالذنب. لم تعد تحتمل وجودها وحيدة خلال النهار في ذلك البيت الواسع. فالتحقت بصفوف تعليمية للراشدين.
اعجبت مدرّستها بمهاراتها فأوصت بها إلى وكالة متخصصة في تجهيز الرسوم التوضيحية المناسبة لمؤلفي الكتب.
عملت ساندرا لعامين، بشكل حصري لكاتب واحد.
كانت تقوم بوضع كل تصاميمه الخاصة بكتب الاطفال الشعبية.
لطالما تساءلت ساندرا هل كان سيتغير مصيرها، لو أنها اكتشفت موهبتها تلك باكراً. استقلالها المادي قد كان سيؤدي بالتأكيد الى استغلال معنوي، وبالتالي لكانت نالت حريتها، وحرية الخروج ومقابلة وجوه جديدة والقيام بعلاقات جديدة، ولكانت ربما التقت

بفارس احلامها... لكن بالمقابل، فكرت، ماذا كان سيحدث لوالدها؟ لأنه بعد تلقيه تلك الصدمة الرهيبة، لم يتعاف كلياً. وبالتالي كان بحاجة دائمة إليها لكي تقف بقربه، تساعده، ترعاه وتستجيب لطلباته التي لا تنتهي. وجد نفسه بحاجة ماسة إليها كما كانت هي بحاجة ماسة إليه بعد ولادة كاتي. وبالتالي شكرت حظها وقدرها لأنهما أتاحا لها فرصة اظهار مدى حبها له وعرفانها لجميله.
الآن، وبعد ان بلغت السادسة والثلاثين من عمرها، وجدت نفسها تتمتع بحريتها العاطفية والنفسية، ولكن متأخرة. فقد اصبحت ناضجة جداً لا تفكر بالقصص الرومنسية وأساطير الحب. في نظرة الى الرجال من حولها، شاهدت باشمئزاز تلك العلاقات الزوجية المزيفة. وراقبت بغيظ خيانة الرجال لزوجاتهم ومغازلة نساء أخريات بوقاحة متناهية، من دون أدنى اهتمام لما يسببه ذلك من جرح لمشاعر وكبرياء نسائهم، بما في ذلك من قسوة وإجرام. لطالما راقبت ذلك النوع من الرجال الذي يأخذ ويأخذ ولا يعطي بالمقابل إلا القليل، القليل.
المسافة القاطعة والعوائق التي وضعتها ساندرا بينها وبين أي رجل لترضي والدها، استعملتها كوسيلة دفاعية، تختفي وراءها وتخبىء ضعفها بين طياتها، مما دفع كاتي يوماً، لأن تصرخ بوجهها لأنها تتصرف كامرأة في السبعين من عمرها وليس كامرأة في منتصف هذا السن تقريباً.

«أمي انت حقاً جذابة. جميلة جداً فلا داعي ان تعيشي حياتك هكذا وحيدة.»

أجابتها ساندرا:«ألم تأخذي بالحسبان أني احبذ فكرة العيش وحيدة؟ العديد من النساء يفعلن ذلك. خذي جيسي فينلاي، على سبيل المثال.»

جيسي امرأة اربعينية، ذات شعر احمر، تملك بيتاً صغيراً عند مدخل القرية، كما تعمل مراسلة لاحدى محطات التلفزة المحلية. إلا أنها كانت وقحة جداً متفتحة على الآخرين وشعبية جداً مع كل الرجال، ولو أنها كانت أقل شعبية مع نسائهم.

«قد تكون جيسي تعيش بمفردها، إلا انها لا تفتقر الى العلاقة الحميمة.» اجابتها كاتي بعنف، ثم تابعت بنبرة أقل تحدياً:«هذا ليس طبيعياً، يا أمي. اعرف أنه لا يوجد أي رجل في حياتك. اعرف انه ليس عندك صديق، مخبأ في مكان ما. هل كان هناك رجل آخر في حياتك غير أبي؟»

حاولت ان تسكت كاتي، حاولت جهدها ان تخبرها بأن كل هذا ليس من شأنها، إلا انها وجدت نفسها تعترف بأنه لم يكن هناك أحد في حياتها ما عدا جيمي. أما ما لم تستطع كاتي تخيله، وما لم يكن في نية ساندرا إخبارها به، فهو أنها هي، ابنتها، لم تكن إلا ثمرة لتلك التجربة العاطفية الوحيدة التي عاشتها طيلة حياتها والتي لا تتذكرها. إلا ان ما كان يؤاسيها ويخفف من قلقها هو ان لدى كاتي، وهي في الثامنة عشرة، خبرة في الحياة أكثر مما لديها، وهي بضعف عمرها.

برغم أنها حاولت جهدها ان تكون صريحة مع كاتي متفهمة لكل علاقاتها، مصممة على ان تجعلها مدركة لكل المسائل الحميمة، إلا ان ساندرا شعرت دائماً انها عاجزة عن مناقشة مثل هذا الموضوع مع كاتي. لقد كان بودها ان تصارحها بأن السعادة الحقيقية والتجربة المميزة لها، انه يجب ان تقوم بما تشعر أنه مناسب لها، بالذي يشعرها بقيمتها الذاتية. احترامها لذاتها هو دائماً ما يهم، والأكثر أهمية هو ان لا تخضع لضغوط وإغراءات اولئك الشبان المنحرفين.

لكن كيف يمكنها مناقشة ابنتها المراهقة بالأمور الحميمية، بالعواطف الملتهبة، في حين انها هي نفسها تنقصها الخبرة والمعرفة في هذا المجال؟

منذ ان تركت كاتي المدرسة في بداية الصيف الحالي، بدأت ساندرا تشعر تدريجياً بأنها الابنة وأن ابنتها هي الأم. فقد بدت كاتي الآن شابة، ذكية، ناضجة جداً، قادرة على إدارة حياتها أفضل بكثير من امها.

راقبت ساندرا بفخر وخوف قدرة كاتي على تجنب التعليقات السمجة التي كان يطلقها بعض الرجال المسنين حول كيف اصبحت فجأة يانعة جداً وجذابة جداً. كانت كاتي، بلطف ولكن بحزم، تضع حداً لكل تلك التعليقات، تفهمهم بأنها ليست مهتمة بهم، إنما اهتمامها يتركز على من هم من جيلها.

راقبت ساندرا خروج ابنتها الى الجامعة بقلب مثقل وعرفت بأنها ودّعت الطفلة الصغيرة وعليها استقبال المرأة. كانت فخورة جداً بابنتها. فخورة بما كانت عليه

وفخورة بما قد تصبح. كانت دائماً تصلي بيأس كي تتمكن من اجتياز المرحلة الجامعية بأمان وأن تجد لنفسها مهنة ومستقبلا، قبل وقوعها في الحب.

الآن بدا لساندرا ان كل تلك الصلوات لم تجنب كاتي القدر الذي أرادتها ان تهرب منه.

حقيقة. لم تذكر كاتي شيئاً حول وقوعها في حب ريمون هذا. ريمون... ما نوع هذا الاسم؟ ولكن الطريقة التي ذكرت كاتي اسمه، وترددها، جعلت ساندرا قلقة جداً في هذه الامور وخائفة من التعرف على هذا الرجل الذي هو مهم جداً كما يبدو، بالنسبة لابنتها. ولكنها في الوقت نفسه كانت تشعر بالنفور من هذا اللقاء. ادركت تماماً ان تعرّفها إليه سيؤكد اهميته في حياة ابنتها...

شدت بتوتر على شفتها العليا.

في الطابق العلوي كان ينتظر وصولها غرفتان مريحتان. غرفتان. طبعا، كاتي سوف تنام في غرفتها. أما صديقها، ريمون هذا...

عضت ساندرا شفتها، وحملقت في غرفة الجلوس غير مبالية بالسحر الذي أضفاه ديكورها الخشبي، وسقفها المنخفض وإطار نوافذها ذات النقوش الحجرية.

كان المنزل قديما جداً، أعجبت به ساندرا منذ ان وقع نظرها عليه. لقد توقعت أنه لو لم يكن والدها على عجلة من أمره في تركه لندن، لكان طبعا اختار بيتا أكثر حداثة، لكن الآن وبعد ان اشترى هذا البيت الخشبي الجميل مع حدائقه الواسعة والمناظر الخلابة

التي تحيط به، عملت ساندرا تدريجياً خلال تلك السنوات على دمغه بطابعها الخاص، لقد اعادت إليه جمال الحياة مع كل رقتها ومهارتها الفنية، الى درجة ان الزائر للمرة الاولى كان يقف مشدوها امام ألوان الغرف الزاهية. مما يضفي جوا عائليا حميميا مريحا يرحب بكل من يدخل إليه.

ربما كان على ساندرا ان تستجمع شجاعتها وتسأل كاتي فوراً، إذا كان ريمون هذا سوف يشاركها المبيت. لكن غرفة كاتي مازالت تحوي ذلك السرير الصغير الذي احتواها طيلة فترة مراهقتها.

لكن هذا ليس مبرراً، أنبت نفسها بقسوة. فالمنزل يضم خمس غرف للنوم وحمامات. الغرفة التي حضرتها لصديق كاتي كانت اصغرها، وهي الغرفة المحاذية لغرفتها. تتوسطها نافذة صغيرة، وسقف خشبي مصقول جيداً. كما تحتوي على سرير كبير مزدوج. كل الغرف ما عدا غرفتها وغرفة كاتي، كانت تحوي مثل هذه الأسرة وقد كان من الصعب عليها جداً ان تستبدل غرفة من دون ان تسمع تعليقات كاتي المزعجة.

ماذا يمكنها ان تفعل لو أعلنت كاتي عن رغبتها في بقاء ضيفها طيلة فترة اقامتها؟ ماذا يمكنها ان تفعل لو ان ريمون هذا أصر على كاتي بتصرف معين فقط ليظهر لها مدى الارتباط بينهما.

الفصل الثاني

لا يمكن ان يتأخرا أكثر من ذلك؟ ذكرت كاتي انهما سيصلان قرابة الساعة الرابعة. والآن قاربت الساعة الخامسة. بدأت ساندرا تشعر بتقلص وألم في معدتها. ماذا لو تعرضا الى حادث؟ هل التاريخ سيعيد نفسه... وتموت كاتي كما مات والدها...

للمرة الثانية كان عليها ان تمنع نفسها من الانسياق وراء مخيلتها.

لقد حضرت لكاتي عشاءها المفضل بالإضافة الى فطيرة التفاح الذي عملت ساندرا على قطفه وحفظه لعيدي الميلاد ورأس السنة.

كانت ساندرا تنتظر بفارغ الصبر العيد، فقط لكي ترى كاتي في البيت، تضحك لمجرد التفكير بها كطفلة صغيرة غارقة في حلواها، وذلك لأنها كانت تعلم ان كاتي لم تعد طفلة وأن مع نهاية الفصل، لسنتها الجامعية الأولى، ستكون قد غرقت مع اصدقائها المفضلين، ومن الطبيعي بالتالي، ان تمضي عطلاتها معهم في المستقبل. في أعماق قلبها كانت تخفي يقينها بأن هذا العيد سيكون الأخير الذي ستمضيه مع كاتي. ان تتوقع انها قد تمضي فترة العيد هذه السنة مع ريمون هذا، او الإسوأ من ذلك، هل سيأخذ كاتي منها ويمضيان سويا العيد في مكان ما بمفردهما، بينما هي...

عند سماعها صوت سيارة تتوقف في الخارج، تقلصت عضلات معدتها، تجمدت في مكانها، لكنها ما لبثت ان اجبرت نفسها على المضي قدما نحو الباب الخارجي.

في طريقها الى الخارج ألقت نظرة خاطفة على المرآة المعلقة فوق المدفأة، كيف يبدو ريمون هذا؟ كيف يبدو ذلك الرجل الذي هدد هدوءها وصفاءها لهذه الدرجة؟ عبست في صورتها المنعكسة في المرآة، متسائلة إذا كان سيلاحظ، او حتى يهتم، انها وكاتي تتشاركان تقاسيم الوجه نفسها، شكل العينين اللوزي نفسه، لكن حين كانت عينا ساندرا زائغتين غير واثقتين بنيتين يميل لونهما الى الاخضرار.

كانت عينا كاتي لامعتين، ضاحكتين ذات زرقة لافتة.

وفي حين كانت خصلات شعر ساندرا كستنائية اللون، كانت خصلات كاتي غارقة في سواد حالك كسواد الليل.

لقد أخذت كاتي من والدها لون بشرتها، كما طول قامتها، لكنها تشاركت وأمها تلك الملامح الجميلة الجذابة نفسها، وذلك الخصر الدقيق، أمر واحد كانت ساندرا تحسد ابنتها عليه وهو طول قامتها. وطالما كرهت كاتي صغر حجمها وقصر قامتها، وهي نحيفة جدا حتى أن العديد من الأفراد الذين فاجأوها تعمل في الحديقة، مرتدية سروال الجينز الضيق والقميص الرياضي، ظنوا أنها ما زالت طفلة.

ربما لو سرّحت شعرها بطريقة مختلفة، لكنه كان

مجعداً متموجاً بحيث لم يكن بوسعها عمل شيء حياله إلا ان تتركه على هواه.
كان الباب الأمامي للمنزل خشبياً سميكاً بحيث لم تستطع ساندرا رؤية أي شيء من خلاله وهي تحاول فتح الباب، إلا أنها استطاعت ان تتخيل وجه ابنتها الضاحك. استطاعت ان تراها ترمي نفسها بين ذراعيها وترمي بها ارضا كما كانت تفعل دائما...
لكن بعد ان قامت بفتح الباب لم تر أي أثر لكاتي.
رأت رجلا يترجل من السيارة المتوقفة في الفناء الخارجي يبتسم لها بعد ان لاحظ وجودها.
امتزجت خيبة أملها مع ترددها. كائنا من كان هذا الرجل، لا يمكن ان يكون هو نفسه ريمون صديق كاتي. فهو يبدو رجلا ناضجا كبيرا جدا. اقرب الى الخامسة والأربعين منه إلى الخامسة والعشرين.
قد يكون غريبا اضاع طريقه. إنها متأكدة من أنه لم يكن رجلا قابلته من قبل او التقت به يوما ما، وإلا لكانت تذكرته من دون شك. لقد كان جذابا جدا بحيث أنه لا يمكن لأي امرأة، رأته سابقا، ان تنساه بسهولة. بدأ قلبها بالخفقان وكأن عقلها علم بما سجله شعورها. إنه الآن متوجه نحوها بخطوات ثابتة، يرتدي سروال جينز ضيقا مع قميص حريري أظهر جسداً قوي البنية.
شعرت ساندرا بعاطفة غريبة امتلكت كيانها وعادت الى الحياة مجددا في أعماق نفسها. أرادت ان تحيط نفسها بذراعيها بقوة عليها تسيطر على ذلك

الشعور، على تلك العاطفة الجياشة التي اجتاحتها.
ردد وهو متوجه نحوها:«سيدة بارنغتون؟»
كان صوته دافئا وعميقا. الطريقة التي لفظ بها اسمها. جعلت ساندرا تشعر بدوار خفيف. لكنه ردد اسمها كيف عرف اسمها؟
«نـ.... نعم أخشى اني لا اعرف من...»
مدّ يده نحوها مما جعلها تبادره بالمثل بطريقة آلية. عيناها سجلتا تلك المصافحة يا للهول ما خطبها؟ لقد صافحت رجالا من قبل.
شعرت بارتباك شديد. فنظرت إليه غير واثقة.
«إني آسف حقا. اعتقد بأني لم اعرفك على نفسي.»
ابتسم لها وتابع:«ريمون جوردن، لقد تركت كاتي في البلدة. لقد ذكرت شيئا حول رغبتها في شراء شيء ما. وطلبت مني ان لا انتظرها لأنها قد تتأخر بعض الشيء. إلا انها اصرت على ان آتي الى هنا وأعرفك بنفسي. لقد ذكرت شيئا حول رغبتها للاستماع الى بعض الثرثرات. إنه حقا، للطف منك ان تستقبليني هنا في بيتك.»
لم تعد ساندرا تستمع إليه. كانت تحملق به مصدومة غير مصدقة.
هذا الرجل لا يمكن ان يكون ريمون الذي تكلمت عنه كاتي. هذا الرجل لا يمكن ان يكون صديق كاتي. صديقها! امتزج غضبها مع صدمتها. كيف يمكنه ان يقف أمامها هكذا، يحدثها بكل سهولة في حين كان يجب ان يعلم مدى الصدمة التي سببها لها، مدى

انزعاجها، مدى... نعم، مدى عدم تصديقها بأنه... بأنه ماذا؟ بأنه يحب ابنتها؟ حاولت ان تفهم ما هو هذا الشعور الذي يعتريها، والذي سيشعرها ببرد شديد، وكأن خنجراً غرز في صدرها.

ماتت الابتسامة الآن على شفتيها، وسجل وجهها أثر الصدمة المؤلمة التي تلقتها. ما كادت تستطيع ان تشعر بانسحابه وابتعاده عنها بتحفظ شديد. تملكها رعب حقيقي. ووجدت نفسها في وضع محرج غير قادرة على التعامل معه وحتى لا تعرف كيفية ذلك.

عندما حاولت ان ترسم صورة في مخيلتها لريمون ذاك، تخيلت شاباً فتياً... فتياً جداً. أما هذا الرجل فقد كان مسناً جداً بالنسبة لكاتي.

بدأت ترتجف، وأحست فجأة بوهن شديد وكأنها ستقع مريضة. اغرورقت عيناها بالدموع وسالت على وجنتيها، شعرت بالإحراج الشديد فعملت على إزالتها.

«إني آسف. أرى اني قد سببت لك صدمة ما.»

بدا ذكياً جداً، حاذقاً جداً، وخبيراً بالحياة. شعرت فجأة بأنها خائفة منه. ماذا لو شعر بغضبها، بصدمتها، باشمئزازها، بانفعالها وحاول ان يعاقبها بتجنيد كاتي ضدها؟ للوهلة الأولى ابعدت هذه الفكرة عن رأسها. وأقنعت نفسها بأن هذا لا يمكن ان يحدث ولكنها ايضاً كانت مقتنعة بأنه لا يمكن إن يحدث لكاتي ان تحتاج في حياتها لأن تحب رجلاً في مثل سن والدها.

«حسناً، اعتقد من الافضل ان ندخل... تبدين واهنة. حذرتني كاتي من انك تكرهين من يقول بأنك واهنة، ولكن...»

كاتي أخبرته ذلك، ماذا اخبرته غير ذلك؟ تساءلت ساندرا بحرقة وهي تتراجع نحو الباحة. وهو يتبعها الى الداخل. إنها تكرهه فعلاً، وكيف يمكنها ان لا تفعل بعد ان قرأت في وجهه، في تعبير عينيه آثار كل تلك السنين. وقارنت هذه السنين وهذا النضوج بحداثة كاتي وبراءتها وشبابها.

انها تعرف الرجال أمثاله، هذا النوع من الرجال العاجزين كلياً عن مصادقة نساء في مثل أعمارهم وخبراتهم. غرورهم يدفعهم لاستغلال الشابات وبراءتهن. آه، أجل. إنها تعرف هذا النوع جيداً، وهي تحتقره.

لكنها لم تتخيل ابداً ان كاتي قد تقع فريسة لمثل هذا النوع من الرجال، لا شك ان هذا الرجل جذاب بما فيه الكفاية، اعترفت بحقد، وهي تحاول ان تتجاهل تلك الرجفة التي انتابتها بعد ان اكتشفت انها كانت فريسة لنظرات ريمون جوردن الثاقبة والمفكرة التي ترسلها عيناه الرماديتان الباردتان.

سألها بهدوء:«هل انت أكيدة من انك بخير؟ كاتي...»

ضاعت بقية جملته مع الضجة التي أحدثتها كاتي وهي تفتح الباب الأمامي. وسمعت ساندرا ابنتها تناديها ببهجة.

«أمي، أمي... أين انت؟»

«الشبان، أليسوا صاخبين جداً؟» علق ريمون جوردن بهدوء في حين كانت هي مسرعة نحو الباب. تعليقه جعلها تلتفت لتلقي عليه نظرة شك وغاضبة. ماذا يحاول ان يثبت، يساوي نفسه بها؟ هل يفكر جدياً بأنها غبية كفاية لتقع في مكائده، او انه يحاول بذلك ان يخلق جواً من الألفة بينهما. او أنه يحاول بذلك ان يجعلها تميل الى قبوله كصديق حميم لابنتها؟

هذا التغير المخيف أشعل النار في عروقها، وحوّل سخطها وغضبها الى خجل من نفسها. أشاحت وجهها سريعاً عنه قبل ان تكشف تعابيره عما يدور في خلدها من أفكار.

تملكها رعب حقيقي، إذا اختار هذا الرجل القيام بمثل هذه اللعبة، قد يحصل بينها وبين ابنتها الغالية هوّة من المستحيل إزالتها.

رفعت رأسها أملة ان يأتي وقت، تنقشع فيه الغشاوة عن عيني كاتي وترى ذلك الرجل على حقيقته. رجل مسن منحرف، في الخامسة والاربعين من عمره، يحاول ان يحقق ذاته ويؤكد رجولته عن طريق التنعم بحداثتها وصغر سنها. وعندما يحين ذلك الوقت، لن يعود أي مكان او أهمية في حياة كاتي، لكن آنذاك، توقعت ساندرا ان يكون قد أصبح من المستحيل دمل الجرح الذي قد يحدثه بينهما.

عليها ان تكون حذرة، حذرة جداً بحيث لا يخونها لسانها أمام كاتي وتظهر لها بالتالي مدى صدمتها وذهولها. كانت تفكر بذلك وهي مسرعة في الرواق

الصغير المؤدي الى الباحة حيث وقفت على رؤوس اصابعها لتعانق ابنتها التي ضمتها بدورها بحنان وقوة.

صرخت بوالدتها باهتمام:«لقد خسرت من وزنك.» بعد ان اسندت ظهرها الى الحائط وأخذت تراقبها وترمقها بنظرات إنتقادية. التفتت الى ريمون الذي كان قد خرج ايضاً الى الصالة وسألته مرحة:«أليست تماماً كما وصفتها لك؟» ومن دون ان تنتظر منه جواباً عادت والتفتت الى امها ضاحكة.

رددت كاتي لإغاظة والدتها:«لم يصدقني عندما اخبرته ان لدي أماً أقرب الى ان تكون مراهقة من ان تكون امرأة ناضجة.»

مع شعورها العميق بالإهانة، اكتشفت ساندرا ان الاحمرار خضب وجنتيها وهو أمر اعتقدت انها استطاعت التحكم به طيلة هذه السنوات.

ضحكت كاتي وأزاحت بدلال خصلات شعرها المتناثرة وهي تقول:«لقد توقفت في القرية خصيصاً لأشتري لك هذه. طبعاً لم أنس هديتك ولكني فكرت انه يمكننا الحصول عليها الليلة للاحتفال.»

عندما احتفظت ساندرا بصمتها، تابعت كاتي بصوت أرق:«لا تظني بأني قد نسيت، يا أمي. هل ظننت ذلك؟ طبعاً لن اتسبب لك بالإحراج، إذ ذكرت أمام ريمون أننا سنحتفل الليلة بذكرى مولدك السادس والثلاثين.»

اعترضت ساندرا بضعف:«كاتي!» في الحقيقة هي

نفسها كانت قد نسيت عيد مولدها، في خضم قلقها وانشغال بالها على ابنتها، ولكنها الآن وبعد ان ذكرتها كاتي به تمنت لو أنها لم تفعل. لم يكن انزعاجها سببه إضافة عام جديد على أعوامها السابقة. بل كان ذلك نتيجة استمرار ريمون جوردن في النظر إليها بإمعان، مما جعلها تشعر بعدم الراحة والتململ. فغر فمه عن ابتسامة صغيرة، وهو يراقبها تحاول ان تتناول زجاجة الشراب من قبضة كاتي، قائلة بحزم:«كاتي تعلمين أني قد تخليت عن عادة الاحتفال في عيد ميلادي منذ أعوام مضت.»

أجابتها كاتي:«قد تكونين أنت فعلت ذلك، لكن هذا لا يعني ان على البقية منا ان نحذو حذوك.» ثم اضافت بدلال:«أمي، متى يحين موعد الطعام؟ أكاد أموت من الجوع، اردت ان نتوقف لتناول الطعام في طريقنا الى هنا، لكن ريمون اعترض على ذلك ورفض تناول تلك الاطعمة التي يحضرونها في المطاعم التي تقدم وجبات سريعة التحضير.» اضافت كاتي بتذمر:«إنه بذلك اسوأ منك.» ألقت نظرة شك سريعة باتجاه ريمون، لترى رد فعله تجاه هذا الانتقاد.

بدا متمتعا اكثر منه ضجرا، طريقته في معاملة كاتي كانت أقرب الى عم متسامح منه كعاشق متيم. مما أدهش ساندرا، لأن هذا التصرف بدا لها غريبا، فهذا الرجل لا يمكنه ان يكون عاشقا واثقا متطلبا.

جفلت وشعرت بالخجل من تلك الأفكار الحميمة التي تجول في رأسها. أفكار ليس من حقها ابدا ان تفكر

بها. ريمون جوردن هو حبيب ابنتها وليس... ليس ماذا؟ سألت وهي ترتجف. ليس لأنه رجل مميز، ذو صفات رجولية طاغية، مجرد وجوده في منزلها يوترها، يضعها على حافة الهاوية ويعود بها سنين الى الوراء وكأنها مازالت مراهقة؟

هو المخطىء منذ البداية، لو وصل كما كان مفترضاً مع كاتي لما حصل هذا ابدا... لما حصل هذا إطلاقا... عضت شفتها العليا بقسوة.

ماذا دهاها؟ لقد رأت من قبل رجالاً في غاية الوسامة، تحدثت معهم وأمضت وقتا برفقتهم من دون ان تشعر بهذا التشتت الذي يعتريها الآن.

نعم، شعرت انها كانت سائرة نحو الهاوية، لم يكن عليها إلا ان تنظر إليه حتى تشعر بالتفكك في داخلها.

قالت لنفسها بحزم، هذا سخيف، عليها ان تتمالك نفسها وتجمع شتات أفكارها.

حاولت يائسة ان تركز على ما كانت كاتي تقوله، فأجابتها بتوتر:«حسنا، لقد حضرت لك عشاءك المفضل. روستو بالبهارات وفطيرة بالتفاح.»

لم تستطع حمل نفسها على النظر الى ريمون، وبدلا من ذلك قالت لكاتي:«كان عليّ ان اسألك إذا كان صديقك... السيد... لا يمانع بتناول مثل هذا الطبق.»

عندما حاولت سابقاً تخيل صديق كاتي، فكرت في شخص اصغر سنا، وذوقه أقل تعقيداً من هذا الرجل

الذي يوجه إليها الكلام الآن بنعومة قائلاً:«ارجوك نادني ريمون.. ولأقول الحقيقة، وجبة منزلية شهية قد تكون تعويضا جيدا لي.»

لمعت عينا كاتي من السرور وهي تلقي بنظرها عليه. «أمي، لا تصغي إليه. لديه العديد من النساء اللواتي يتقاتلن في سبيل تأمين جو عائلي مريح له.»

تستطيع ان تراهن على ذلك، انكمشت ساندرا قليلاً على نفسها، وشكت إذا كان طعامهن فقط هو كل ما يود ان يجربه.

لو كانت مكان كاتي لكانت توقعت ان يكون اهتمامها به أكبر من اهتمام ابنتها.

على الرغم من ان علاقتهما كانت بعيدة من كونها علاقة حبيبين، إلا ان ابنتها لا بد وأن تكون متأكدة جدا من مشاعره تجاهها حتى تستطيع معاملته بهذه اللامبالاة. نظرت الى ابنتها متسائلة، مفكرة، لو كانت مكانها لشكت بمقدرتها على بناء مثل تلك الثقة بالنفس.

لقد كان مريحاً لها ان تفكر بأن ريمون رجل محظوظ لكي يحبه شخص مميز وقيّم، مثل حبيبتها كاتي. لكن كاتي وما كادت تبلغ التاسعة عشرة من عمرها، بينما هو... غريب كفاية، لم يكن ليشبه رجلا يحاول تضخيم ذاته بأخذه بين ذراعيه، فتاة اصغر بكثير منه. لكنها لم تكن لتتصور ابدا ان كاتي سوف تقع يوما ما بحب رجل أكبر منها عمرا، رجل له من العمر ما يجعله أباها وليس حبيبها.

تملكها شعور بالذنب، هل هي السبب، هل هو خطأها كونها لم تؤمن لكاتي والدا يحميها، فوقعت ابنتها بذلك الخطأ المميت وأحبت هذا الرجل؟

استعجلتها كاتي قائلة:«هل سيطول موعد تناول العشاء، يا أمي؟»

«آه، ليس طويلا... حوالى ساعة.»

«عظيم، سوف أصعد مع ريمون لأريه غرفته ثم أعود حالا لأساعدك ونغتنم الفرصة للتحادث. بالمناسبة في أي غرفة سوف يستقر؟»

في خضم قلقها لفارق السن ما بين ابنتها وريمون، نسيت ساندرا قلقها حول ترتيبات النوم التي أعدتها لهما.

عادت الآن الى ذاكرتها فجأة واكتشفت انه كان من المستحيل عليها النظر الى ريمون وقالت:«لقد رتبت لك... للسيد ريمون غرفة الرعاية. تلك التي تقع الى جانب غرفتي.»

آه. لم شعرت بأن وجنتيها التهبتا عندما نطقت ذلك؟ لماذا فجأة، ارتسمت في مخيلتها صور لريمون وهو مستلق تحت الدثار في الغرفة الإضافية. انتابها رجفة قوية وحاولت بضعف أن تزيل تلك الأفكار.

ضحكت كاتي باستهزاء:«غرفة الرعاية. لقد وضعت ريمون في غرفتي القديمة.» ثم تابعت:«إذا لم تستطع ان تنام، كل ما عليك ان تفعله يا ريمون هو ان تتلهى بقراءة كتبي القديمة. هيا تعال، سوف اصطحبك.»

كانت ساندرا على وشك الصعود معهما، وحتى انها

خطت خطوتين باتجاه السلالم. عندما أدركت انهما قد يرغبان ببعض الخصوصية بمفردهما، حتى أكثر الأمهات تعصباً واهتماماً، ليس باستطاعتهن ان يلعبن دور الحارس اربعاً وعشرين ساعة في النهار.

على الأقل تقبلت كاتي بهدوء فكرة عدم تجهيز غرفة واحدة لهما ولم تستطع ان تمنع نفسها من التساؤل إذا كان ريمون، نفسه قبل بهذا الأمر بهدوء.

إنه رجل ناضج، تخطى منذ زمن بعيد فترة اختلاس القبلات او أي شيء آخر من وراء ظهر المقيمين او المراقبين.

تجمدت بمجرد قدومه نحوها، واحمرت وجنتاها بمجرد إدراكها انها تقف بينه وبين السلم. فتنحت بسرعة مفسحة المجال له ليمر.

النظرة التي ألقاها عليها وتَرتها، وبدا لها وكأنه رأى ما يعتمل في نفسها، وترك عندها انطباعاً وكأنه يعرف جيداً مدى التوتر الذي ألمّ فيها.

بينما كانت متوجهة نحو المطبخ، مصممة على ان لا تقف هناك تراقبهما، في اللحظة التي وضعت فيها كاتي يدها في يده، وصعدا معاً درجات السلم الواسع جنباً الى جنب، علمت ان الأمر الأخير الذي توقعته في خضم قلقها على نتائج هذه الزيارة هو انجذابها العميق نحو حبيب ابنتها، حتى انها شعرت فجأة وكأن بشرتها تقلصت وأعصابها بدت حساسة جداً ومؤلمة بعض الشيء.

لقد كرهت تجاوبها وانجذابها لريمون. كرهت

استنتاجها بأنها وبشكل مريح ومؤلم تحسد كاتي على هذه العلاقة. ولكن لماذا ينتابها مثل هذا الشعور؟ لقد كانت هناك أوقات في الماضي، كانت تشعر فيها بشوق وحنين لعطف واهتمام رجل ما، يحبها ويريدها، لكنه كان عليها بالمقابل ان تتعلم كيف تضع حداً لأحلامها الصبيانية وتعود الى الواقع، فليس هناك وجود لمثل هذا الرجل إلا في الحلم، كما حدث ظهر هذا اليوم.

ربما لأنها لم تستطع ابداً ان تتصور إمكانية وجود مثل هذا الرجل، فهي لطالما اعتبرت ان الرغبة ليست إلا نتاج علاقة عاطفية طويلة، وبما أنها لم تسمح لأي رجل بالاقتراب منها بما يكفي لانشاء مثل هذه العلاقة، وجدت نفسها آمنة من كل تعطش مؤلم كالذي تعاني منه الآن.

كانت واقفة في مكانها تحملق تائهة الى عجين الفطيرة، عندما دخلت كاتي الى المطبخ صارخة بحماس:«حسناً، يا أمي... أليس ريمون أجمل رجل رأيته في حياتك؟»

اجابت ساندرا من دون انفعال:«يبدو ودوداً.»

عبست كاتي وسألتها بسخرية:«ودوداً؟ أمي، إنه أكثر الرجال جاذبية على الإطلاق، إنه...»

قاطعتها ساندرا بحدة:«كاتي، علي ان اضع هذه في الفرن.» آخر ما كانت بحاجة إليه هو وصف مجنون لـ ريمون، ليس فقط لأنها شعرت بأنه غير مناسب لابنتها. لم ترد ان تسمع ذلك لأنها كانت مرتعبة من أنها لن تستطيع تحمل سماع ذلك.

عبست كاتي:«أمي ماذا هناك؟» وغابت الابتسامة عن شفتيها وعن عينيها. اقتربت من الفرن، انتزعت الصينية من يد أمها، وضعتها جانبا بحزم ثم أمسكت بوالدتها وأدارتها لتستطيع مواجهتها.

وجهت الاتهام لها:«إنك لا تحبينه أليس كذلك؟»

«لا... أجل، أنا... آه، كاتي، لم أكد ألتقي به، و...»

توسلتها كاتي بإلحاح:«أمي، ارجوك، فقط امنحيه فرصة، إني اعلم انك سوف تحبينه.»

كم كان خطأ استعمال كاتي لهذه الكلمة، لكن جزءاً منها، غريبا، منبوذا، يصرخ بتمرد. لماذا عليّ ان أحبه؟ لأنك تحبينه أنت؟ ألا ترين الفارق في ما بينكما؟

سألتها كاتي:«ما الذي لا يعجبك فيه؟» وبقيت ساندرا صامتة. ماذا باستطاعتها ان تقول؟

شعرت باختناق وحاولت التحكم برد فعلها فقالت:«حسنا، ليس الأمر أني لا استلطفه، يا حبيبتي. كل ما في الأمر أنه أكبر عمراً مما تصورت.»

عبست كاتي وقالت:«أكبر عمرا!» سألت والدتها بعدوانية:«ما دخل سنه بما يدور بيننا؟ وفي كل الأحوال إني اعتقد أنه في السن المناسب.»

عضت ساندرا على شفتها،بعد ان غمرها شعور باليأس. لقد حدث ما كانت خائفة منه... لقد بدأ فعليا يبعد المسافة ما بينهما. طبعا لقد كانت كاتي مقتنعة بأنه في السن الملائم وبالتالي لا يجدر بها نفعا متابعة هذا الموضوع.

حاولت جاهدة ان تعيد المياه الى مجاريها فسألتها

بهدوء:«كم تدوم عطلتك؟»

«حسنا، استطيع البقاء هنا ليومين ليس أكثر، إنما ريمون سوف يمكث حتى العيد، إذا كنت لا تمانعين.»

«حتى العيد!» فغرت ساندرا فاها واستندت الى الكرسي لتحمي نفسها من الوقوع. «كاتي، لكن هذا مستحيل. أعني...»

اجابتها كاتي بعناد:«لا، ليس مستحيلاً. لماذا لا يبقى هنا؟ عندما أخبرني انه يحضر لكتابه الجديد هنا في تشيشاير وأنه يريد القيام ببعض الابحاث هنا في هذه المنطقة. فكرت فوراً بأن هذا المكان سيكون المكان المثالي له. لم يكن متأكداً في بادىء الأمر، وتطلب الأمر فترة حتى اقنعته بأنك لن تمانعي.»

حملقت ساندرا بها عاجزة عن الكلام فتمتمت:«حقاً؟»

بعد ان رمقت ابنتها بنظرة حادة، استدركت كاتي قائلة:«حسنا، ربما كان يجدر بي ان اسألك اولا، لكني كنت على يقين من أنه لو اخبرتك بأن احد كتابك المفضلين هو من يدرسنا ويلقي علينا المحاضرات، وأني قد دعوته الى هنا لأنه يبحث عن مكان محلي يمكث فيه ريثما ينتهي من أبحاث كتابه الجديد، لكنت قدمت لي مئات الاعذار وكل أنواع الاعتراضات، لكنك لا تستطيعين خذلي الآن، لن تحصل أي متاعب. اني متأكدة من انك لن تشعري حتى بوجوده.» اضافت من دون ان تبالي بالتعبير الذي ارتسم على وجه والدتها:«أعني انه يستطيع استعمال غرفة جدي. في أي حال سوف يمضي نهاره خارج البيت. لقد

www.elromancia.com

قال إنه يريد زيارة غوزورث. تصوري، فكري كم هو رائع، عندما ينشر كتابه، ويعرف الجميع بأنه كتبه هنا. سوف يكون عليك ان تعلقي يافطة كبيرة كتب عليها:«هنا صدر كتاب تشارلز كرتشاو.»

حملقت ساندرا بابنتها بذهول وقالت:«تشارلز كرتشاو؟ لكنك قلت إن اسمه ريمون جوردن.»

«نعم، هذا اسمه الحقيقي، لكنه يكتب تحت اسم تشارلز كرتشاو. كرتشاو كان اسم والدته قبل الزواج، أما تشارلز فهو اسم والده. لقد اخبرني انه عندما بدأ في الكتابة لأول مرة، كان لا يزال يحاضر طيلة النهار وبالتالي كان مضطراً لأن يلجأ الى استخدام اسم مستعار.»

رفعت ساندرا يدها نحو جبينها في حركة آلية مترددة.

ريمون هو نفسه تشارلز كرتشاو، احد كتابها المفضلين، وكاتي دعته ليقيم عندهم لإنهاء أبحاث كتابه الأخير. إذا ابنتها كاتي، وتشارلز كرتشاو حبيبان! من كان يصدق؟

فكرت بالرقة والمهارة اللتين يصيغ بهما المشاهد الرومانسية في رواياته ممزوجة بقناعة مخيفة، بأن تلك المهارة، وتلك الرقة، من المؤسف اهدارهما على فتاة صغيرة طائشة صاخبة كابنتها.

حاولت فورا السيطرة على هذه الافكار المدمرة. أفكار لا يحق لها ابدا ان تدعها تمر في بالها. سمعت صوت كاتي خلفها يتساءل بحيرة:«أمي، ما الذي

يزعجك؟ اعتقدت انك سوف تسعدين بهذا الخبر؟»

سماعها لصوت كاتي وما يسوده من حب وقلق جعلها تضع جانبا مشاعرها وتقول بتبرم:«تماما كما ظننت بأني سوف أسعد حين أتيت بحلزوناتك من الحديقة وتركتها تسرح على أرض المطبخ.»

«حسنا، أنت اشتكيت لأنها تأكل أزهارك. وقلت انك عاجزة عن ايذائها، كما أذكر انك قد هددت بقتلي أنا، عوضا عنها.»

انفجرتا فجأة ضاحكتين، الارتياح الذي شعرت به بعد ذلك الانقباض الرهيب في اعصابها دفع الدموع الى عيني ساندرا.

تمتمت ساندرا بيأس:«آه، كاتي. لا يمكنني...» لا يمكنني ان أدع حبيبك يمكث هنا معنا، كانت على وشك القول، حين رأت ريمون يدخل الى المطبخ، ويبدأ بنقل نظراته الثاقبة ما بينها وبين كاتي.

شعرت بإحمرار خديها وبريق عينيها الدامعتين، فاستدارت ساندرا نحو الفرن وأسرعت في فتح بابه ووضع الصينية في داخله.

في حين صبت جام غضبها على ما تفعله، سمعت كاتي تقول لريمون برقة وبشكل خاطىء:«كنت مازلت اكشف لأمي هويتك الحقيقية، يا ريمون، ومع انها خائفة من أن تصارحك، إلا أنها فرصة لا تعوض بمكوثك معنا. فهي لا تستطيع الانتظار حتى تذهب وتطلع صديقاتها على هذا الخبر المهم، أليس كذلك، يا أمي؟»

www.elromancia.com

اعترضت ساندرا بحنق:«كاتي.» اغلقت باب الفرن واستدارت لتواجه ابنتها. ربما كان والدها على حق عندما اتهمها بالتسامح والتساهل مع ابنتها. برقت عيناها غضباً والتفتت نحو كاتي ولكن للمرة الثانية ظلت كلماتها معلقة في الفضاء حين تدخل ريمون بمرح:

«إني فعلاً شاكراً لك ضيافتك، يا ساندرا. وعليّ ان اعترف بأنه عندما اقترحت علي كاتي، ان امكث هنا معكما ريثما أنجز كتابي الجديد، كنت متردداً بعض الشيء. طبعاً إنه لطف منك ان تقترحي ذلك عليّ، لكن علي ان اعترف بأنه من الأمور الأكثر صعوبة هو العيش مع كاتب، خصوصاً أثناء قيامه بعمله، وكنت أخشى ان تكون كاتي قد أضفت، سهواً، بريقاً لامعاً لفترة وجودي معكما. لكن، يجب ان اعترف الآن وبعد ان التقيتك كم كانت مخاوفي مخطئة. من الواضح انك سيدة حساسة جداً، على الرغم من كل التعليقات اللعوبة التي ذكرتها ابنتك.»

تسمرت ساندرا في مكانها غير مصدقة لما تسمعه.

صرخت كاتي باشراق:«عظيم، إني سعيدة الآن، لأن هذه المشكلة قد سويت، ولو كان عليك ان تغير غرفتك، يا ريمون. كنت أقول لأمي انك سوف تكون أكثر ارتياحا لو استعملت غرفة جدي القديمة. لها حمامها الخاص، كذلك تحتوي على سرير واسع وضخم.»

اطلعت كاتي ريمون ببرود قبل ان تستدير وترى وجه أمها الذي كان يشتعل ألما.

إلا ان ريمون لاحظ ذلك، وعلى الرغم من الاضطراب الذي اعتراها ودموع الخجل والاحتقار التي ملأت عينيها، استطاعت ساندرا ان تشعر بنظرته الثاقبة المركزة عليها.

آه، كاتي ما تزال طفلة صغيرة لاهية، أنانية كما غيرها من الشبان في مثل سنها، لن تشك بما يدور في خلد والدتها من أفكار مؤلمة، حزينة تقض مضجعها، حتى انها لن تفكر بذلك الاحساس البغيض الذي تشعر به والدتها، الآن، هذا اليأس الحاد الذي يمتلكها لمجرد تخيلها بأن كاتي وريمون حبيبان.

إلا ان يأسها هذا لم يكن سببه، كما كانت معتقدة، قلقها العميق على شعور كاتي وأمانيها العاطفية. لا، سبب هذا اليأس عاطفة أقل صدقا وقبولا. لقد كان سببه الغيرة.

ها هي تعترف لنفسها. لقد شعرت بالغيرة من ابنتها. بالغيرة منها لأنه يريدها هي، يرغبها هي. يا للهول، ماذا أصابها؟ هل هي حقا تريد ان تحل مكان كاتي؟ هل هي حقا تعتقد ان ريمون سوف يراها، بأي حال من الاحوال جذابة ومغرية؟ ليس على المرء إلا ان يقارن ما بينها وبين كاتي حتى يدرك استحالة ذلك.

كاتي شابة جدا، ابنة تسعة عشر ربيعا أما هي ففي السادسة والثلاثين. لم تعد فتاة شابة بل إنها الآن امرأة.

امرأة، وأم ايضاً. لقد أنجبت طفلة. هذه الطفلة تقف أمامها الآن بثوب امرأة جذابة جداً، جميلة في ريعان

شبابها. اما هي... بالنسبة لها كل هذه السنين الجميلة قد ولت. مازالت تتمتع بمظهر تحسدها عليه الكثيرات من صديقاتها، لكنها لا تتمتع بأنوثة فتاة يانعة... وجهها فقد حيويته في حين امتلأت خدود كاتي حيوية. ليس هناك من رجل بكامل قواه العقلية يمكن ان يفضلها بعد قيامه بهذه المقارنة مع كاتي.

لم تستطع الاعتراف حتى لنفسها بأنها تمنت لو ان كاتي احتفظت بهوية ريمون الحقيقية لنفسها ولم تخبرها بها. طالما تساءلت ساندرا عن الرجل الذي أبدع في كتابة الروائع القصصية التي امتعتها كثيراً، الآن وبعد ان واجهت الحقيقة، شعرت حقاً بخيبة أمل. من الناحية البنيوية، قد يكون من أكثر الرجالت وسامة، لكن من الناحية الفكرية، العاطفية... مع كل ارتباكها وقمعها لرغبتها به لم تستطع منع نفسها من الشعور بالأسف، قوته تلك، نضوجه، قدراته التي شعرت بها في رواياته كانت أوهاماً. وهو في الحقيقة ليس إلا رجلاً ضعيفاً، مغروراً، خالياً من كل تلك الصفات التي اعتقدتها موجودة فيه.

حسناً، قد يكون كذلك، فكرت في يأس. لكن على الأقل هذه المعرفة سوف تساعدها في تخطي المرحلة المقبلة.

قالت كاتي:«أرأيت، يا ريمون، كنت على حق.» ثم تابعت بفرح:«ألم أقل لك منذ اللحظة التي ذكرت فيها رغبتك في اتخاذ تشيشاير مقراً لتقوم بأبحاث لكتابك الجديد، أنك سوف تحب الإقامة مع أمي. صحيح انها

قد لا تبدو كذلك، لكنها تستطيع ان تكون وحشاً قاتلاً إذا ارادت وأنا اكيدة من انها سوف تحرص جيداً على ان لا يقاطع عملك احد.»

وضعت افكارها المدمرة جانباً وألقت نظرة متمعنة على ابنتها.

بدت كاتي يانعة جداً وبريئة لكنها مع ذلك بدت امرأة. امرأة ناضجة كفاية لكي تمنع ايا كان من الاقتراب من حبيبها أو التدخل في شؤونه في غيابها وذلك بوضعها هي، والدتها، حارساً عليه. ولكن من سيقوم بحراسة الحارس؟

كانت تعلم مسبقاً جواب سؤالها هذا. يجب ان تكون هي نفسها الرقيب المحاسب. يجب ان تتأكد من انها ستمسك زمام القيادة وتسيطر على مشاعرها. بحيث لا يستطيع ريمون نفسه، تكهن مدى تأثيره عليها.

على الاقل هي شاكرة لأمر واحد وهو انه ما يكاد يشعر بوجودها. قد تكون اصغر منه بعدة سنوات لكنها مازالت بضعف عمر ابنتها.

كفى. كفى، انبت نفسها. ما خطبها؟ في المرحلة السابقة، آخر ما كان يهمها، آخر ما كان يقلق تفكيرها، آخر ما كان يشغلها، أنها تخطت مرحلة شبابها وإغرائها كأنثى. لا، بالتأكيد! منذ موت والدها وجدت نفسها سعيدة لأنه ليس عليها ان تبقى أسيرة رغبات مقلقة، لأنها لم تعد في مرحلة تجد فيها الرجال مندفعين لمغازلتها.

لم يكن يزعجها سماع تذمرات كاتي، إنها تتصرف

كامرأة مسنة في حين أنها مازالت في ريعان شبابها. بالنسبة لكاتي فهي لم تكن تعرف ذلك النوع من الرجال الفضوليين إثر معرفتهم بماضي والدتها ولا شرعيتها هي.

لم تكن ساندرا لتشك ولو للحظة واحدة بمدى رغبتها في أن تبدأ كاتي حياتها، لكنها في الوقت نفسه كانت تريد لها ان تحقق أكثر بكثير مما حققته هي، عندما كانت في مثل سنها. لقد أحبت ابنتها كثيراً، وكانت تأمل ان يأتي ذلك اليوم الذي تشعر فيه كاتي بفرح إنجاب طفل، لكن ليس قبل ان تصبح ناضجة كفاية، كي يكون باستطاعتها تحمل الصعوبات والمسؤوليات التي ترافق هذا الحدث. ليس قبل ان تصبح في وضع يخولها ان تشارك هذا الفرح وهذه الصعوبات مع رجل يحبها كما تستحق ان تحب.

«آه، على فكرة، يا أمي. نسيت ان اخبرك بأن جدتي قد قدمت لزيارتي الاسبوع الماضي.»

نظرت ساندرا بإمعان الى ابنتها.

«آن... كيف حالها؟»

قالت كاتي ضاحكة:«خلابة وهل تعلمين؟ يرافقها شاب جميل جداً. حسناً، ليس شاباً في الواقع، بل رجل لكنه يصغرها، على الأقل بعشر سنوات، لكن من الواضح انه يحبها جداً، وهي وكأنها تسير فوق النجوم. يجب ان تريهما معاً، يمشيان متشابكي الأيدي وكل منهما ينظر الى الآخر بشغف وحنان... صراحة بالنسبة لي، اشعر ان هذا الأمر مبالغ فيه بعض الشيء.

سوف يمضيان فترة العيد في سويسرا وقد دعتنا أنا وأنت لتمضية عيد رأس السنة معهما. قالت انها سوف تتصل بك وترسل لك تحياتها.» تغيرت ملامح كاتي في حين تابعت:«هل تدركين؟ لقد قالت لي إني أشبه والدي تماماً. وإنها احياناً تكاد تنسى ملامحه الى ان تعود وتراني فتعود وتراه أمامها. أمي، هل تتذكرين وجه والدي؟»

قالت ساندرا بسرعة:«نعم ولا.» مدركة بأنها كانت فريسة لنظرات ريمون المتمعنة.

على ضوء معرفتها بكاتي، فهي بالطبع، لم توفر أي معلومة صغيرة أم كبيرة لم تقصها على ريمون. لقد كانت كاتي دائماً مشرقة، منفتحة على الغير، غير خجلة من والدتها او من تاريخ عائلتها المخجل الذي لم يكن سببه إلا هي بالذات. لذلك قررت ان أي عبء او شعور بالذنب يتعلق بولادة كاتي يجب ان تتحمله هي بالذات. لم تدّعي ابداً ان قصة حبها وجيمي كان قصة حب العصر، لقد ترعرعت كاتي مدركة أن والدها قد مات ولما بلغت مرحلة من العمر كانت قادرة على فهم الحقيقة، شرحت لها ساندرا بهدوء وروية كيفية حملها.

لقد عرفت لاحقاً أن آن كانت في مثل صراحتها، وقد كانت ساندرا شاكرة لوالدة جيمي دعمها في جعل كاتي تنشأ وتفكيرها في والدها أقرب الى صديق منه كوالد.

جيمي الذي تتذكره الآن كان مراهقاً، أقرب الى ان

يكون فتى صغيراً، فكرة حبها له تبدو الآن مضحكة. لقد حزنت عليه، على شبابه، نعم، لكنه لو عاش ولم يتعرض لذلك الحادث المشؤوم، لكانا الآن غريبين، لا يجمعهما أي شيء إلا الطفل الذي أنجباه الى هذا العالم.

سألتها كاتي بفضول وكأنها قرأت افكارها اللاوعية:«هل تعتقدين بأنه لو كان مازال على قيد الحياة، كنتما تزوجتما؟»

اخذت تعض شفتها العليا لا إرادياً كما كانت تفعل دائما في حالات توترها، تمنت ساندرا لو ان كاتي أقل إلحاحاً وأكثر لباقة. لم تكن تريد مناقشة هذا الموضوع أمام ريمون، لكنها عادت وفكرت بكآبة، أنه قد لا يكون بينه وبين كاتي أسرار، لذلك، اعتقدت بأنه يجب ان لا يكون عند أمها ايضا تحفظ تجاهه. لقد نسيت مع الوقت كم هو رائع تفكير الشباب وحتى انانيته في بعض الاحيان.

لأنها كانت حريصة جداً على صراحتها مع ابنتها، طبعاً بقدر استطاعتها، قالت، بعد ان قمعت رغبة عنيفة لأن تلقي نظرة على ريمون لترى رد فعله على كل الذي يجري بينها وبين ابنتها، إلا ان الرغبة كانت تقاومها رغبة أخرى، في القوة نفسها، من ان تجعله يشعر بأحاسيسها:«بصراحة، لا اعلم، يا كاتي. اعتقد بأن أبي كان سيضغط علينا للقيام بهذه الخطوة. لكننا كما تعلمين، كنا صغيرين جداً على مجرد التفكير بالزواج، ولو كنا تزوجنا لكان انتهى هذا الزواج

بكارثة علينا وعليك. لقد كان جيمي في السابعة عشرة من عمره فقط.»

«وأنت كنت ما تزالين في السادسة عشر. لقد كان بإمكانك عرضي للتبني.»

قالت ساندرا بحزم:«لم أكن اريد ذلك. لقد كنت محظوظة جداً بوجود والدي الذي أبدا استعداده لأن يقف إلى جانبي ويساعدني. لقد كانت صدمة عنيفة له، إني اعرف ذلك.»

سألتها كاتي:«ولك انت؟ ألم يشكل لك ذلك صدمة ايضاً؟ أعني بأنك لم تكوني في وارد ان تصبحي حاملاً... لكن اعتقد بأنه لم يكن يوجد في تلك الأيام وعي كاف و...»

قاطعتها ساندرا:«انا... انا أكيدة من ان ريمون ليس مهتماً بكل هذا الموضوع، يا كاتي.» ثم تساءلت: لماذا تتعرض كاتي لهذا الموضوع بالذات من بين كل المواضيع؟

عندما دخلت كاتي مرحلة النضوج، عملت ساندرا على تمضية اوقات طويلة، طويلة جداً برفقتها، تناقشها تفاصيل علاقتها القصيرة مع جيمي... بكل صدق وصراحة، معترفة لابنتها بأنها كانت ساذجة جداً، تفكر في خلفية ما كانا يفعلانه وبأنها لم تكن حقيقة ترغب بجيمي او بأي علاقة معه او مع غيره، لكنها وافقته على اقتراحه وخضعت لرغبته. لقد احبته طبعاً، لكن بالقوة نفسها التي من الممكن ان تحب بها صديقاً حميماً او قريباً مخلصاً. لم يكن هناك شيء حميم في

تلك العلاقة، لقد كانت صغيرة جداً، غير ناضجة ولم تعرف بوجود مثل ذلك الشعور وتلك الحاجات.
قالت كاتي برقة متجاهلة اختناقها:«آه، ريمون يعرف كل شيء عن ماضيك الأليم والمحزن.»
رمقته ساندرا بقلق. أمر ما ضايقه او أزعجه. لقد كان عابساً بشكل شبه مخيف. جعلتها تشعر بخوف داخلي على كاتي وتمنت ان لا يدفعه ما حصل لأن يصب جام غضبه على رأسها الرقيق. هذه هي المشكلة التي تفرض نفسها على أي علاقة غير متكافئة... كاتي لن تكون ابداً نداً او خصماً حقيقياً له، وهي متأكدة من انه سيقوم بأي شيء ليجعل ميزان القوة في علاقتهما يميل الى مصلحته ولكي تظل كاتي تحت سلطته.
لغاية الآن لم يكن هناك شيئ من الخوف في النظرة الضاحكة التي ألقتها كاتي عليه بعد ان لاحظت هي ايضاً انزعاجه.
حَذرت كاتي أمها بمزاح:«أمي، عليك ان تراقبيه..» وتابعت:«لديه مزاج عنيف. إنه دائماً، في الصف يلقي الرعب في قلوبنا.»
عبست ساندرا بدورها. لم تعجبها فكرة، كون كاتي متورطة مع شخص ذو ميل للعنف، على الرغم من ان كاتي ليس عندها مثل هذه التحفظات.
لتكون صريحة مع نفسها لم تحبذ الوضع برمته، ولا أن تكون كاتي متورطة اصلاً مع هذا الرجل.
في حين لم تكف كاتي عن ثرثرتها وحماسها وأخبارها المتعددة، حول حياتها الجديدة كطالبة جامعية، طيلة

فترة العشاء، احتفظت ساندرا بصمتها.
وضعت شوكتها وسكينتها جانباً، برغم ان طعامها ما كاد يمس، مما دفع كاتي لتقول بحنان:«أمي، ما خطبك؟ لم تأكلي شيئاً. الرجال يحبون النساء الممتلآت قليلاً، أليس كذلك، يا ريمون؟»
اجابها:«ليس هناك من رجل حساس يود رؤية امرأة وكأنها تموت جوعاً، عظامها ضعيفة بارزة مما يجعل من ينظر إليها يفكر بأن ليس لديها ما تقتات منه. الأذواق تختلف، طبعاً، لكن، يجب ان اعترف ان هناك شيئاً ما في هذه القدود الصغيرة الضعيفة كقد والدتك... يغري الرجل... يمكنك ان تطلقي على هذا أنانية او رجعية... كما اعتبره أنا بكل صراحة... لكن مثل هذه النساء غالباً ما تطلق عند الرجل غرائز قديمة ونزعة مستميتة لحمايتهن بكل ما أوتي من قوة.»
اعترضت ساندرا من دون تفكير:«لكن بطلات رواياتك غالباً ما يظهرن رقيقات جداً.» ثم ما لبثت ان احمرت وجنتاها بشكل فاضح عندما علمت بأنها قد اخطأت في النظر مباشرة الى عينيه، في حين كان هو ايضاً يبادلها هذه النظرات باهتمام ورقة، مما جعلها عاجزة عن اغماضهما او ابعادهما عنه.
صحح قائلاً:«ليس دائماً، قد أكون حاولت جاهداً، ان لا أخون رغباتي وتفضيلاتي الشخصية. بالتأكيد أشعر بأنه من المفيد لي ككاتب ان اتناول الجزء الأصعب، لأبرهن بأن الرقة لا توجد دائماً في نساء لا يتجاوز طولهن الخمسة أقدام.» ثم اردف بعد قليل:

www.elromancia.com

«بعد العشاء، هل تسمحان لي بالانسحاب والصعوبة مباشرة الى غرفتي؟ يجب ان أدون بعض الملاحظات؛ كما ان هناك بعض الإفكار طرأت على رأسي مؤخراً وأريد تسجيلها، فضلاً عن ذلك انا متأكد من انكما، انت وكاتي لديكما الكثير لتتحدثان به. لم نتحدث بالأمور المادية لغاية الآن. لكن في الواقع لا اعتقد انكما ستأوياني على نفقتكما الخاصة. عادة، عندما أقوم بمثل هذا النوع من الأبحاث، استأجر غرفة صغيرة في مكان ما لمدة أشهر، أو ما شابه ذلك، حتى انتهائي من كتابة المسودة الأولى، وعلي ان اعترف انه لوهلة، بعد ان تلقيت دعوتك من كاتي للبقاء هنا،، كنت خائفاً من كيفية سير الأمور. أما الآن، فإن كل مخاوفي ذهبت مع أدراج الرياح.»

لم يكن عند ساندرا ما تقوله، فاكتفت بإلقاء نظرة عتب على كاتي التي ما كان منها إلا ان تجاهلتها وتابعت ثرثرتها. برغم ان طلب ريمون كان يجب ان يسعدها إلا انه ولسبب ما، اكتشفت بعد ان استأذن وانصرف وتركها مع كاتي أنها افتقدت فعلياً وجوده معهما، وكان عليها ان تمنع نفسها من الاصغاء الى وقع أقدامه على السلالم.

مهما يكن. الآن، وبعد ان سنحت لها الفرصة للتكلم مع ابنتها على انفراد، كان عليها ان تستفيد منها وهذا ما فعلته حين سألت كاتي بغضب:«صحيح اني اتقدم في السن، يا كاتي، ولكن ذلك لا يعني اني قد بدأت افقد ذاكرتي وتغيب عني بعض الأمور. ومع ذلك

لا أذكر انني وجهت الدعوة التي تحدث عنها ريمون وقرر ان يقبلها.»

ضحكت كاتي وقالت معترفة:«حسناً، يا أمي كان علي ان اغير الحقيقة بعض الشيء.» ثم ما لبثت ان تغيرت ملامح وجهها حين أضافت:«ريمون رجل محافظ جداً في عدة أمور. لا ادري إذا كان ذلك يعود الى تقدمه في السن او شيء من هذا القبيل.»

كانت ساندرا ما زالت تفكر بالتعليق الذي أطلقته كاتي على حبيبها المفترض حين تابعت تلك الأخيرة قولها بسرعة:«في اللحظة التي ذكر فيها انه يقوم بوضع كتاب جديد هنا في تشاير وأنه بحاجة الى مقر للعمل. ادركت ان مكوثه معنا سيكون فكرة رائعة، ولكني اعرفك.» وتبدلت ملامح وجهها وتابعت:«وأعرف انك ستمانعين ولن توجهي له مثل هذه الدعوة ابداً من تلقاء...»

وقبل ان تكمل عبارتها اوقفتها والدتها مندهشة، وهي ترد عليها بغضب:«أنت على حق، بالطبع لم أكن لأفعل ذلك.»

تابعت كاتي بخبث متجاهلة عبوس والدتها:«هكذا انت، هل رأيت؟ وبما أني متأكدة من ان ريمون سوف يرفض الحضور من دون دعوة رسمية، لذا...»

علقت ساندرا باستهزاء:«إذا كل المسألة كانت من أجلي، أليس كذلك؟ كم انت حنونة.» كانت على وشك ان تفصح لابنتها بما يدور في فكرها وتقول لها إنها ما فعلت ذلك إلا لحماية ريمون ولو ظاهرياً على الأقل

من النساء الاخريات. وأن تصرخ في وجهها، إنه ليس لديها أي رغبة لأن تلعب دور الحارس على حبيبها، ولكن ما لبثت ان اعترفت بضعف، ان الجرأة تنقصها، كي تواجه كاتي هكذا. وانصاف لها كانت تدرك ان ابنتها كانت قلقة عليها وعلى بقائها في هذا البيت الكبير بمفردها.

«حسنا، ولكن مهما كانت دوافعك، إني لا اوافق على الطريقة التي دبرت فيها الأمور وجمعت بيننا، يا كاتي. لا يمكنك التدخل في حياة الآخرين بهذا الشكل. وماذا لو نفيت حديثنا عن هذه الدعوة؟»

«آه، ما كنت لتفعلي ذلك. أمي، انت وفية جداً. مرهفة الحس. سوف تفرحين لوجوده معك هنا. سوف ينسيك نفسك.»

حملقت بها ساندرا وتمتمت:«شكراً لك.»

في الواقع، تساءلت إذا كانت سترى ريمون على الاطلاق. ذلك أنه ومن خلال خبرتها الشخصية تعرف أن ما لا تتحمله ابداً هو ان يقاطعها احدهم في شكل متواصل اثناء عملها... لذا كان عليها ان تتفق معه على بعض الأمور مثل تنظيم أوقات الطعام وغيرها من المواضيع العملية. قطعت على نفسها وعداً الآن بأنها لن تزعج ريمون اثناء عمله، ستشاركه وجبات الطعام إذا أراد هو ذلك، إلا أنها لن تفرض نفسها عليه، لن تهتم به أكثر من اللازم وتغدق عليه عنايتها، لن تقدم له وجبات إضافية او شراب او تقطع عليه خلوته.

وهو بالتالي عليه ان يتأقلم مع روتين حياتها او يكون عليه القيام بالترتيبات الخاصة التي تناسبه.

قالت كاتي في محاولة لاستفزازها:«فقط تخيلي كيف سيكون عليه الوضع مع اصدقائك. سوف يطلبن منك تعليقاً عن كيفية العيش في المنزل نفسه مع كاتب شهير.»

أجابتها ساندرا باختصار:«لا اعتقد. لدينا الكثير من المشاغل والمواضيع الهامة لنبحثها ونناقشها.»

حدجت ابنتها بنظرة قاسية وتابعت:«هل تعلمين ما علي ان أفعله. يجب ان آخذك وأصعد بك الى غرفة حبيب... ريمون وأخبره ما فعلت.»

«آه، هيا، يا أمي، لن تفعلي ذلك، هل ستفعلين؟ سيثور علي...»

يثور عليها؟ فكرت ساندرا وألقت نظرة قلقة على ابنتها وتساءلت أي نوع من الرجال هذا الذي يثور على حبيبته؟ جال تفكيرها في صور مرعبة من العنف والظلم.

سألتها بحذر:«إنه لا.. لا يمكنه... يمكنه ان يعاملك بشكل مجحف يا كاتي، هل هو كذلك؟»

لقد كانت ابنتها بغض النظر عن كل شيء، ومن وجهة نظرها هي على الأقل، امرأة راشدة وليس عليها بالتالي ان تتدخل في شؤونها وعلاقتها مع ريمون. وإلى جانب ذلك، لقد كانت بعيدة من ان تملك جرأة تدفعها لمعرفة التفاصيل الحميمة التي تدور بينهما.

«مجحف؟» بدت كاتي وكأنها انتبهت الى سؤال

والدتها فأجابت بعد تفكير:«لا، ليس حقاً، إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار العلامة القاسية التي وضعها على بحثي الأخير.»

إما أن كاتي أساءت فهم سؤالها، او أن مخاوفها الكثيرة وهمية تماما. وتمنت بصدق ان يكون الجزء الأخير هو الصحيح. نهضت ساندرا عن مقعدها لتنظف الطاولة وتشغل آلة غسل الصحون.

عرضت كاتي قائلة:«دعيني أقوم بذلك عنك، يا أمي.»

كانت الساعة تدق الثامنة عندما نزل ريمون ووافاهما إلى الصالة. وعندما اقترحت كاتي ان يذهبوا ثلاثتهم في نزهة إلى القرية ليتناولوا شرابا في النادي، اعتذرت ساندرا فورا عن مرافقتهما، بحجة ان لديها عملا ما، عليها القيام به،، فقد شعرت بأن عليها ان تترك لهما بعض الوقت ليمضياه معا الى انفراد. قد ترغب كاتي حقا ان ترافقهما. لكن شكت بأن يشاركها ريمون شعورها. صحيح ان تعابير وجهه لم تخنه وتظهر ذلك بشكل واضح، ولكن من المؤكد انه من النوع الذي يجيد حقا إخفاء مشاعره. شعرت بالقلق والانزعاج حين رفضت بشكل حاسم تملق كاتي في عدم مرافقتهما.

يبدو ان عشاق هذه الأيام تنقصهم قوة العواطف وعمقها، التي طالما تخيلت حدوثها بين شخصين غارقين في الحب، إلا إذا كانت علاقتهما قوية ووطيدة لدرجة أنهما لم يعودا بحاجة للانفراد معا.

لغاية الآن لم تنطق كاتي بأي تعليق حول إعطائهما

غرفتين متباعدتين. يبدو أنها تقبلت الأمر وكأنه امراً واقعا. شعرت ساندرا بصداع أليم يضرب رأسها، رفعت يداها على جبينها علها تزيل هذا الألم.

«هل تشعرين بألم ما؟» فاجأها السؤال فاستدارت لترى ريمون يراقبها.

«مجرد صداع خفيف.»

«يجب ان ترافقينا. فالهواء النقي قد ينعشك.»

«انا... انا تعبة. اعتقد انه من الافضل ان انام باكرا.»

صعدت كاتي الى الطابق العلوي لتجلب معطفها، لسبب ما شعرت ساندرا بدموع مفاجئة تحرق جفنيها. لقد كان ذلك كله بسبب توترها والصدمة التي تعرضت لها. هذا ما ا قنعت نفسها به، هذا هو السبب، وفي الواقع انها غير معتادة على اهتمام الآخرين بها كما أنها لم تشعر منذ زمن بأنوثتها ورقتها من خلال صوت رجل ما.

على أي حال قد يكون كل ذلك من نسج خيالها.

لماذا، قد يكون ريمون مهتما بها؟ نعم، لا شك انها تتخيل ذلك، فكرت في غيظ وهي تستدير مبتعدة عنه. لقد تحولت الى امرأة ساذجة، غبية كتلك النسوة المتوسطات العمر. فقد أصبحت خائفة من ركض السنين، بحيث اصبحت تتخيل ان كل رجل يقابلها يبدو نوعا ما منجذبا إليها.

كان قد مضى على خلودها إلى الفراش قرابة الساعة، عندما شعرت بعودتهما.

شعرت بهما يصعدا الدرج معاً ثم ما لبثا ان توقفا على منبسط السلم بعيداً عدة ا قدام عن باب غرفتها..
تاكلها الغيظ وتوترت اعصابها حين سمعت ريمون يقول لكاتي بهدوء:«ربما يجب عليك ان تلقي نظرة على والدتك، فهي...»
لحسن حظها جاءها جواب كاتي:«لا، لا.»
من الواضح ان كاتي أساءت فهم سؤاله الذي نتج عن اهتمامه بها، ذلك انها قاطعته قائلة:«لا، أمي تكره ان يضايقها احدهم وخصوصاً إذا لم تكن على ما يرام. إضافة الى انها قد تكون نائمة الآن. عمت مساءً، ريمون.»
ساد صمت قصير، وحاولت ساندرا ان لا تتخيل انهما في عناق، الأمر، الذي لو حدث، لم يستغرق إلا مدة قصيرة جدا. اغمضت عينيها في محاولة لمحو رؤية مؤلمة اعترتها، كاتي وريمون متعانقان. سمعت ريمون يفتح باب غرفته وسمعت صوت أقدام كاتي تبتعدا نزولا على الدرج.
الآن باستطاعتها ان تنام في هدوء. لكنها، لم تجد لذلك سبيلا. امضت الليل كله تتقلب على فراشها، تستسلم للنوم حيناً وتصحو احياناً لتصغي الى صرير غير متوقع للأرضية الخشبية او للأبواب.
ما الذي كانت تفعله بنفسها؟ تساءلت والدموع تملأ عينيها. طبعا انها تريد ان تحمي كاتي وتحاول ان تجنبها أي أذى، لكن الصور المضطربة التي ملأت دماغها، الأفكار المؤلمة التي تدور بعنف في رأسها

ليس لها أي علاقة بتلك المخاوف والعواطف التي تكنها لابنتها.
بدا لها ذلك معيباً جداً وغريب. لم تتخيل يوماً او تشعر بحاجتها وبشكل محرج في وضع مقلق، تواجه توقها ورغبتها في رجل ليس في النهاية إلا حبيب ابنتها.
لقد كان ذلك مخجلا ومذلاً...

www.elromancia.com

الفصل الثالث

بعد ان امضت ليلة صعبة لم تذق خلالها طعم النوم، كان من الطبيعي ان تغرق ساندرا في نوم عميق قبل الفجر. إنها تخطت ساعة نومها بفترة.

أحدهم كان يقرع باب غرفتها، هذه كاتي من دون شك، تريد ان تعلم لماذا مازالت في سريرها لغاية الآن، لذا صرخت:«ادخل.»

كانت ما تزال ترفع رأسها عن الوسادة في محاولة لتحضر نفسها لترك السرير، حين فتح الباب، إلا أنها لم تكن كاتي القادمة... بل كان ريمون.

قال معتذراً:«أمل بأني لم اوقظك.» وأضاف:«لكني اعتقدت بأنك قد ترغبين في كوب من الشاي.»

حملقت ساندرا به وشعرت ان الكلمات قد ضاعت منها، لقد كان يرتدي سروال جينز ضيقاً مع قميص نظيف، شعره كان مصففا بشكل انيق، وفي حين كان متوجهاً نحوها، شعرت برائحة الصابون الذكية التي تنضح بها بشرته.

كان يحمل كوباً مزخرفاً مليئاً بالشاي، وضعه على الطاولة إلى جانب سريرها. ثم ما لبث ان سألها:«كيف حال صداعك؟»

نظرت ساندرا إليه بسرعة، عن أي صداع يتكلم؟ إنه قلبها الذي يؤلمها ويتمرد عليها وليس رأسها. شعرت بدقات قلبها وكأنها طبول تقرع وصوتها يصم الآذان،

وضعت يدها بشكل آلي على قلبها، من فوق الاغطية تحاول تهدئته. «لـ... لقد أخفتني.»

ماذا يحدث؟ لم تكن معتادة على ان يقتحم غرفتها رجل ما، ليقدم كوباً من الشاي، ويسأل عن صحتها. وخاصة عن رجل مثل هذا الرجل.

انتبهت فجأة لرثاثة قميصها التي كانت لكاتي، ولعقدة شعرها التي هدلت، ولأشعة الشمس التي كانت تتسلل من خلال نافذتها، مبعثرة اشعتها على السرير وعلى وجهها...

تساءلت إذا كان قد حمل لكاتي كوباً من الشاي، وإذا كان يقوم الآن بمقارنة ما بين نضارة كاتي واشعاعها مع شحوبها هي وعدم جاذبيتها في صبيحة هذا النهار.

علق محادثاً وكأنه لا يستعجل الخروج:«قالت لي كاتي بأنك رسامة.»

«نـ... نعم... في كتب للأطفال.»

«هل انت تعملين لدار نشر معينة، في الوقت الحاضر؟»

اخبرته بصدق:«إني على وشك ان ابدأ عند أحدهم.»

زاد عبوسه حين قال:«أليس من غير الملائم لك ان ابقى هنا؟»

تضاربت صراحتها مع وفائها لكاتي، لكن وفاءها تغلب.

«لا، على الاطلاق، إني اتطلع لذلك. اتوقع ان اسأل عنك في المدينة.»

ما بالها. كانت تتصرف وكأنها حمقاء صغيرة.
«أمي.»
رأت كاتي تدخل من الباب فشعرت بالراحة.
رددت كاتي بحدة عند دخولها:«لا اقاطع أي شيء، أليس كذلك؟»
استطاعت ساندرا ان تشعر بتورد وجنتيها فاحتجت قائلة بشكل لا واع:«حقيقة، كاتي، أنا...»
اكدت لها كاتي:«أمازحك فقط، يا أمي.» وأضافت:«ما هذا! شاي لغاية سريرك. كم انت محظوظة. لم أحصل على كوب كذلك؟»
اجابها ريمون بحزم:«ربما لأنك لا تستحقينه.» مما جعل ساندرا تحملق به بارتباك. ماذا يحاول ان يفعل؟ ان يجعل كاتي تغار؟ تغار من والدتها؟ هذا سخف طبعا.
اعلنت بسرعة:«أنا... انا... اعتقد بأنه من الافضل ان انهض.»
وافقتها كاتي:«فكرة حسنة. ماذا سنفعل اليوم، يا أمي؟ اعتقد أن ريمون يحب القيام بجولة على المنطقة. انت تعلمين كل غوزورث وهذا النوع من الأماكن.»
وافقتها ساندرا:«تبدو فكرة حسنة، هل ستغيبان طيلة النهار؟ أم سوف تعودان ساعة الغداء؟»
عبست كاتي قائلة:«حسنا، إن هذا يعود إليك. ما عنيته هو، لماذا لا تأخذين انت ريمون في جولة الى غوزورث؟ اعني، ان هذا الأمر يستهويك اكثر مما يستهويني وأنت تعرفين الكثير عن المنطقة كما تعلمين،

انا لست مهتمة بالأماكن التاريخية. إلى جانب ذلك، عندما توقفت في القرية، عرجت على سوزي، وقد طلبت مني ان نتجول هنالك اليوم، ونستطلع الأخبار. أنت لا تمانعين، أليس كذلك يا أمي؟ اعني انك تحبين الذهاب الى غوروث، أليس كذلك؟ كنت دائما ترددين الى أي درجة تلهمك، وأنك لن تملي ابدا من زيارتها.»
لم يكن عند ساندرا ادنى فكرة عما تقوله. كانت كاتي تنظر إليها وكأن هذه النظرات تتوسلها لكي توافق ولكن لماذا؟ بالطبع إنها تريد ريمون لنفسها لا إذا كان قد حصل شيء بينهما...
إلا إذا كان قد وقع خلاف بينهما. قد يكون السبب الترتيبات التي وضعتها هي للنوم. قد يكون ريمون ألح على كاتي لتمضية الليل برفقته، وتكون كاتي قد اضطرت لأن ترفض لأنها في بيت والدتها. إذا كان هذا هو الموضوع وهي سبب خلافهما. فهي بذلك قد تكون مدينة لابنتها لأن تفعل ما تطلبه منها.
خففت من احجامها وترددها فبدأت غير واثقة:«حسناً إذا السيد... إذا كان ريمون لا يمانع بأن أرافقه كدليل، فأنا بالتأكيد أود ان اعود لزيارة غوزورث مرة ثانية.»
في أي حال، كانت قد فكرت، بينها وبين نفسها، بأن تزور البيت الكبير ثانية.
صحيح أنها قد وجدت في باحته السوداء والبيضاء وغرفه المريحة وتاريخه العظيم، مصدراً لإلهامها، ولكنها كانت متأكدة من ان ريمون ليس عنده أي رغبة في زيارته برفقتها. انتظرت متوقعة منه ان يقول لكاتي

ان صحبتها هو ما يريد، وإنه سيكون لديه الوقت الكافي لمتابعة أبحاث كتابه الجديد عندما تعود هي، الى الجامعة، لكن ما أدهشها وكان مبعث الارتباك في نفسها هو استدارته لمواجهتها وقوله باندفاع ظاهر:«إذا كنت تستطيعين مرافقتي، أكون فعلا شاكرا لك. لقد اخبرتني كاتي انك حاذقة جدا ومطلعة على التاريخ المحلي للبلدة، اعتقد بأني سوف الجأ إليك مرارا خلال الأشهر القليلة القادمة. إني فقط أمل ان لا تندمي على عرضك السخي لي باستضافتي.»

اعلنت كاتي مبتهجة:«عظيم، انتهينا من هذا الموضوع. وبما أنه لم يقدم لي أحد كوبا من الشاي فسأذهب لأرتدي ملابسي.»

نظرت الى الباب في حين كان ريمون يقف مفسحاً لها المجال لتترك سربها.

حركته هذه جعلت الغطاء ينزلق عن السرير الى الجانب الآخر عارضا الجزء الاعلى من جسدها المغطى بما يشبه قميصا للنوم بلونيه الابيض والزهري الزاهيين ومزخرفا برسم كبير لقطة بيضاء. من المستحيل ان يكون قميصا ملائما لامرأة ناضجة في مثل سنها، ومع ان كامل جسدها كان مريعا، فهي لم تعد فتاة في الثامنة عشرة من العمر. غاصت في سريرها في محاولة لالتقاط الغطاء في اللحظة نفسها التي انحنى فيها ريمون للقيام بالمهمة نفسها، فتلامست يداهما للحظة، وشعرت بالنار تأكل وجنتيها وهي تحاول إبعاد يدها، في حين تخضب وجهها

بمسحة قرمزية رائعة عندما نظر ريمون باتجاهها. كان على وشك الاعتذار، او الذهاب، ولكن مهما كانت نواياه، يظهر أنه قد تغافل عن ذلك، في حين اعتراه توتر فاضح جلي، وغير متوقع، مما جعل ساندرا تدير وجهها لترى علام كان يركز نظره. حينها ادركت انه لم يكن من سواها ليتفرس به، كاشفا عن انوثتها.

لم تستطع ساندرا تمالك رجفة صغيرة اعترتها، نقمت على نفسها، فأغمضت عينيها واستدارت. ومن خلال غطاء وسادتها الرقيقة همست به:«ارجوك، انصرف.»

ظلت ترتعد لفترة طويلة بعد ذهابه.

كيف يمكنها الآن، ارتداء ملابسها وموافاتهما الى الطابق الارضي، والتصرف وكأن شيئا لم يكن؟ وماذا لو اختار ريمون إخبار كاتي بالذي حصل؟ تأوهت بألم ويأس، احتقرت نفسها وتمنت البقاء، مغمضة العينين وملتفة على نفسة مثلما هي الآن. لكنها لا تستطيع القيام بذلك. فهي امرأة ناضجة وليست طفلة ولو أنها كانت تتصرف كواحدة منهن.

نزلت عن سريرها وتوجهت نحو غرفة الحمام الصغيرة، حيث استحمت ثم ارتدت تنورة سوداء وقميصا ابيض من قماش سميك، حرصت على ان تقفل كل ازراره، فيما لو جسدها خانها ثانية، لن يتمكن احد غيرها، بعد الآن من التنبه للوضع.

بينما كانت تلتقط منشفتها المبللة وقميص نومها الرقيق من أرض الحمام، قطعت على نفسها وعدا بأن اول عمل ستقوم به صباح يوم الاثنين القادم

هو ان تنزل الى السوق وتشتري قميصاً للنوم يلائم عمرها وعمر من هن في مثل سنها. قميص ناعم ولكن يناسب امرأة متوسطة العمر. قميص لا يكشف انفعالاتها الداخلية وتمرد جسدها، مهما كان ريمون قريباً منها. إنه شيء سخيف فعلاً. لأن من جراء ما حصل هذا الصباح، سيكون احضار كوب شاي لها، الى السرير، آخر ما يريد فعله مستقبلاً. وحتى هي، لن تسمح بتكراره.

في الحقيقة، الخطأ يقع عليه وحده في كل الاحوال. ليس له أي حق في ان يقتحم غرفتها الخاصة بها. ليس له الحق ابداً. حتى ولو كان حبيب كاتي، هذا لا يعطيه الحق في ان يدخل الى غرفتها ويجلس على حافة سريرها كما فعل. فكرت بعد ذلك وبشيء من الحزن بأن ما فعله كان تفخيماً لها، شيئاً مميزاً، مما جعلها تشعر بأنها نفيسة وغالية ومدللة ومحظوظة كون رجل ما جلب لها الشاي الى سريرها. شعرت بحزن عميق يأكل قلبها، ذلك لأنه لم يقم أي رجل سابقاً بمثل هذه الخطوة معها.

أوقفي ذلك، حذرت نفسها قائلة: يجب ان تتوقفي حالاً والآن. ليس لها حق امتلاك مثل هذه الأفكار، ليس لها الحق ابداً.

عندما وصلت الطابق الأرضي، لاحظت، ليس فقط المائدة المجهزة للفطور بل ان المطبخ تفوح منه رائحة القهوة الشهية التي تدغدغ الشعور. تنشقتها بامتنان وقالت لكاتي التي كانت تهم بفتح خزانة الحائط: «انت

رائعة، شكراً لأنك بدأت بتحضير الفطور، لا أدري ماذا أصابني هذا الصباح، اعتقد أني استغرقت في نوم عميق.»

قالت لها كاتي: «لا تشكريني.» اضافت وهي تفتح خزانة الحائط لتلتقط بعضاً من خبزها المفضل: «كانت هذه فكرة ريمون. ليس لديك أدنى فكرة كم هو محافظ وتقليدي. لقد قال إنك قد أفرطت في تدليلي لمدة طويلة وقد حان الوقت لكي يدللك احدهم.»

لم تستطع ساندرا تمالك الاحمرار الذي خضب وجنتيها وفغرت فاها عند سماعها هذا التعليق.

ما هي اللعبة التي يلعبها ريمون؟ لم يكن من النوع الذي يشعر بعدم الأمان مع فتاته، فيلجأ لمثل هذه الألاعيب الدنيئة. ولكن رجلاً مثل ريمون، يحاول إثبات ذاته من خلال اصطحابه فتيات أصغر منه سناً، قد يعاني فعلياً من مشاكل عاطفية.

كذلك من ناحية اخرى يبدو انه رجل ناضج جداً، رجل قادر على السيطرة على نفسه وعلى من حوله.

قد يكون كذلك، قد يكون رجلاً من اولئك الرجال الذين هم بحاجة دائمة للسيطرة على عواطف الآخرين وذلك عن طريق اصطياده الفتيات الشابات بدلاً من نساء في مثل عمرها. فهو لن يكون ابداً قادراً على فعل ذلك. حسناً، على الأقل ليس مع من يضاهيه معرفة ونضوجاً.

سألت كاتي في محاولة منها للسيطرة على أفكارها الشاذة: «أ... أين ريمون؟»

«نزل الى القرية لشراء بعض الاوراق. لقد اخذ السيارة ولن يتأخر.»

استدارت كاتي نحو أمها وتابعت:«مم... اتقومين بتحضير الخبز المحمص؟» ثم اردفت:«كما أني لن امانع إذا حضرت لي بعض البيض المسلوق.»

قال ريمون وهو يدخل المطبخ:«إذا، انهضي وحضريه بنفسك. لقد أفسدت هذه الفتاة الصغيرة، انت تعلمين.» وتوجه نحو ساندرا وأمرها قائلا:«انت اجلسي.» وهو ينزع سكين تقطيع الخبز من يدها من دون ان يعطيها فرصة لتعترض.

فعلت ما أمرها به وكأنها مخدرة. ما الذي يجري؟ ريمون كان يعامل كاتي كطفلة مدللة وليس كحبيبة. كانت ساندرا تدرك انها اغرقت في تدليل كاتي، ولكن والدها كان متطلبا جدا، خصوصا بعد تعرضه للصدمة الأخيرة.

لقد كان من النوع التقليدي جداً وكان من المسلم به، ان يحتاج لامرأة تجلس قربه وتنتظر إشارة من يده، لتلبي كل طلباته. وبشكل أو بآخر تعودت ساندرا على ان تعامل كاتي كما عاملت والدها، ومع ذلك تأكدت من ان كاتي كانت قادرة على الاهتمام بنفسها وبأمور المنزل إذا أرادت.

قالت كاتي:«إني آسفة، يا أمي. ريمون على حق، لقد افسدتني حقا.» ثم صرخت بعد ان رأت قطعة الخبز في يد ريمون:«آه، عظيم خبز من صنع البيت. أمر واحد اشتاق إليه في البيت وهو طهيك. ان أمي لطاهية

ماهرة، يا ريمون. في الواقع إنها رائعة في كل شيء.»

اضافت كاتي بعد ان حضنت والدتها وطبعت قبلة ناعمة على رأسها الجميل:«في المناسبة، هل استطيع ان آخذ سيارتك؟ أعني انك لست بحاجة إليها، أليس كذلك؟ خصوصا إذا كنت ذاهبة مع ريمون، وأنا فعليا بحاجة إليها كي أقل سوزي.»

اومأت ساندرا ايجابا بعد ان لاحظت ان ابنتها تتجهم. «لكن انتبهي جيدا في طريقة قيادتك، ولا تستخدمي كل البنزين الموجود فيها وتعيديها لي وخزانها فارغ، و...»

قالت كاتي بإلفة:«أعيدي المقعد الى الوراء عندما تخرجين.» ثم أضافت ببهجة:«ليس ذنبي إذا كان لدي ساقان طويلتان؟ حسنا. حسنا... لقد سمعت ما قلت.»

سألتها ساندرا قلقة:«سمعته، لكن هلاّ اعرته أدنى اهتمام؟»

رد ريمون في حين كان ممسكاً بطبق لذيذ شهي مليء بالخبز المحمص:«جواب هذا السؤال هو بالطبع لا، خصوصا إذا كانت كاتي شبيهة بجيلها.» ثم اضاف بلكنة خاصة:«أبناء اخوتي اربعة في ريعان الشباب. وأبناء اختي اثنان، توأم في الثامنة عشرة من عمرهما. ولأختي الثانية، فتاة في الخامسة عشرة من عمرها وشاب في التاسعة عشرة. أعتقد أننا جميعا قد مررنا بفترة كنا فيها أنانيين جدا. لكن وبطريقة ما ومع تقدمنا في السن نفشل في تذكرها. على كل حال،

اعتقد بأنه في فترة النضوج نفقد صبرنا، ونغضب بسرعة من الشباب.»
قالت كاتي مشاكسة:«فقط استمعوا لجدي هناك.» ثم اضافت بفضول وهي تبسط الزبدة على قطعة الخبز وتلعق ما تبقى منها، على اصابعها:«لم أكن أعلم ان لديك أبناء اخت. هل لديك غيرهم أقارب؟»
فكرت ساندرا بأن الكل لا يستطيع إلا ان يعجب بالطفلة الصغيرة التي مازالت قابعة داخل ابنتها الفاتنة.
«ليس تماماً، أمي وأبي توفيا، لدي بعض الأقارب من أبناء عم وخال كما عندي عمة او ما يشبه. لكن هذا كل شيء.»
علقت كاتي متجاهلة نظرة اللوم في عيني ساندرا:«من الغريب انك لم تتزوج أبدا.»
يبدو ان مراعاة شعور الآخرين ليس مهماً في العلاقات الحديثة. والمضحك في الموضوع أنها عندما علمت فارق السن ما بين ريمون وابنتها تملكها خوف يائس على كاتي وحاولت حمايتها. ولكانت قد رحبت بهذه الطعنة لغروره. ولكنها خلافا لذلك تشعر انه هو من يجب حمايته. وجدت نفسها تعض بقوة على شفتها العليا. لتمنع نفسها من الاعتراض على فظاظة ابنتها.
«حقا؟ اعتقد بأني لم أقابل قط الشخص المناسب في الوقت المناسب. عندما كنت شابا لم أفكر ابدا بالزواج، فقد كان لدي العديد من الأمور التي أريد

ان احققها اولاً، قبل ان أربط نفسي بزوجة وعائلة. بعد ذلك... في ما بعد... حسنا، اعتقد بأنه كما يقال تزداد مشاغلنا مع تقدمنا في السن وأحيانا التردد قد يكون في مصلحتنا.»
أهذا سرد للواقع أم تحذير مبطن لكاتي، ألا تفكر بأمور مثل الديمومة او الالتزامات، او الزواج؟
كرهت نفسها للراحة التي شعرت بها، لكنها حاولت اقناع نفسها بأن هذه السعادة وتلك الراحة سببهما قلقها على كاتي وليس له أي معنى آخر.
كانت الشمس قد توسطت كبد السماء عندما استعدوا للذهاب. حدقت ساندرا حين شاهدت كاتي آتية، مرتدية سترتها الواسعة ذات الألوان الزاهية وبنطال جينز التصق جيدا بساقيها الطويلتين الرشيقتين، بنطالا يضاهي بوضوح سترتها وبدلتها الرياضية القديمة، لكن وبشكل ما، مازال جمالها يصعق من ينظر إليها.
لم تكن ساندرا تتمتع بربع ثقة كاتي بنفسها وهي في مثل عمرها. ماذا تعني وهي في مثل سنها؟ سخرت من نفسها... فهي الآن وبعمرها هذا لا تتمتع بربع ثقة كاتي بنفسها. حاولت باستياء مقارنة زي كاتي مع ثيابها الداكنة اللون.
لقد بدت غبية ومضجرة، عصفوراً باهت اللون يقف بجانب طاووس استوائي زاهي الألوان.
هل كان ريمون يقوم بهذه المقارنة ايضا، ويؤنب كاتي بينه وبين نفسه لأنها هجرته وتركته لرفقة والدتها؟

ارتعشت بشكل واضح وكانت على وشك اعلان رفضها مرافقته، إنما تربيتها والأفكار التي زرعها فيها كل من والدها والسيدة ميدوز منعتها من القيام بهذه الخطوة.

إذا كان ريمون قد أزعجه تمرد كاتي تخليها عنه، فإنه بالتأكيد، لم يكن في وارد إظهار هذا الانزعاج.

كل دلائل الطقس تشير الى أنهم سيواجهون شتاء مبكرا. وبالتأكيد بعد صيف حار، لفحة الصقيع المفاجئة والنسيم البارد لاقاهم في حركة غير ترحيبية في البداية. لكن ساندرا منذ صغرها تحب فصل الخريف وتتفاءل به. لقد كان فيه شيء مميز يبعث القوة، إن في نسيمه الصباحي البارد أم في سمائه الزرقاء الشاحبة، او شمسه الشاحبة التي ترسل اشعتها الملونة وكأنها بذلك تقوم بغسل تلك المساحات الشاسعة من ألوان الصيف الزاهية. قريبا تلك التلال البعيدة سوف يغمرها الثلج مع بدء تساقطه، قريبا آخر الوريقات سوف تسقط تاركة تلك الأشجار عارية باردة.

تذمرت كاتي وهي ترتجف من البرد حين اصبحت في الخارج:«برد. الجو بارد.» ثم اضافت:«وداعا ايها الصيف.»

علق ريمون وهو يراقب كاتي تدخل سيارة ساندرا الصغيرة:«الصيف! لماذا لا يستطيع الشبان تقدير الأمور الجميلة حقا في هذه الحياة؟ شخصيا افضل هذا الفصل من السنة حيث تتعرى الطبيعة لتظهر على

حقيقتها. مما يضفي عليها خشونة وكبرياء ما تكاد تلاحظهما في الصيف.»

كأنه عبّر عن شعورها وتفكيرها بكلماته هذه، مما جعلها تلتفت إليه وتمنحه ابتسامة دافئة، من دون ان تعي كم غيّر فرحها المفاجيء من ملامح وجهها، فقد بدد توترها وتماسكها اللذين طالما حافظت عليهما لتحمي نفسها، وحلت مكانها امرأة شابة رقيقة بحيث تبدو أصغر سنا وأكثر براءة من ابنتها.

راقبها ريمون وهو يتساءل، هل هي اختارت عمداً ان تخفي نفسها، ان تموه نفسها وتختبيء خلف أفكارها المأسورة. وأن تقمع شعورها وراء حواجز وضعتها ضد من هم من جنسه، أم انها قد وقعت ضحية لا واعية لعادتها في القيام بذلك.

عندما اخبرته كاتي للمرة الأولى عن بيتها، عن أمها ومدى رقتها ووداعتها، تردد قليلا في قبول دعوتها له ومواجهتهما معا، ولكن الآن... راقب كاتي وهي تنطلق بالسيارة ثم استدار متفرسا بساندرا التي كانت تراقب سيارتها تبتعد، ويغلف وجهها تعبير غريب من الحنان والشوق.

قال وهو يفتح لها باب سيارته الأمامي:«اعتقد بأنه عليك إرشادي.» ثم اضاف:«كم هي المسافة التي تبعدنا عن غوزورث؟»

«حوالى العشرة أو الاثنى عشر ميلاً.»

استدارت ساندرا لترى ما حولها في حين غرقت في المقعد الجلدي الوثير متسائلة بفضول، كيف سيكون

عليه الأمر إذا امتلكت سيارة في هذه الفخامة؟» علقت ساندرا:«إنها سيارة جميلة.» بينما كان ريمون الى جانبها يهم بتشغيل المحرك.

«أجل، إنها تعجبني جداً، ولو كان ثمنها باهظاً، ولكن عندما أقوم بأبحاثي أكون بحاجة لسيارة استطيع الاعتماد عليها وبالتالي استخدمها في رحلاتي الطويلة، لذا أمر كهذا، ضروري.»

ما كادا ان يصلا الى تقاطع صغير للطرق، حيث كان عليه ان ينعطف باتجاه غوزورث، حتى ارشدته ساندرا الى الطريق المناسب.

«ما الذي جعلك تقرر وضع كتابك الجديد في تشيشاير؟» لم يكن عندها أي فكرة حول وقع سؤالها عليه، هل سيرحب به؟ لقد سمعت في فترات سابقة ان الكتاب عادة مزاجيون جداً في ما يتعلق بهذه الامور. لكن الطبع الحاد كان آخر صفة يمكن ان تطلقها على ريمون، فقد بدا قادراً على ضبط ردات فعله، واثقاً من نفسه ومن أهدافه.

«لقد بدأ كل شيء مع احدى شخصيات كتابي الأخيرة، فارس نبيل تحت اسم هوغو دي لويس، شخصية وهمية تتعلق بأمير تشستر...»

قاطعته ساندرا بحماس:«أجل، اتذكره. لقد كانت شخصيته مرسومة جيداً بحيث أني وجدت نفسي متشوقة لمعرفة المزيد عنه. والآن انت بصدد وضع كتاب جديد عنه؟ هذا رائع.»

«عندما اخبرتني كاتي بأنك تقرئين رواياتي، اعتقدتها

تمدحنني فقط. لكن كما ارى كنت مخطئاً. أجل، اني أوافقك الرأي. لقد وجدت هوغو شخصية معقدة جداً في تركيبها، تخطت ما كنت قد رسمته لها، ولأكون حقاً صادقاً لم أكن أنوي البدء في عمل جديد بهذه السرعة. لكنني اغرقت نفسي ببعض الدراسات في الجامعة، فوجدت ما يلائم هوغو. وكان علي إيجاد مكان أقيم فيه للبدء بأبحاثي. قمت ببعض الأبحاث حول هذه المنطقة. أما الآن فأنا بحاجة لأن ابدأ بعمل جدي. وقد فكرت بأن اجعل مقر هوغو مماثلاً لمنزل غوزورث.»

تبادلا الحديث لدقائق عدة قبل ان ترشده ساندرا وللمرة الثانية الى الطريق. بعدها وكأنهما خضعا لسحر الطبيعة، التزما الصمت وتمددت ساندرا، مسترخية على مقعدها لتتمتع بروعة المناظر الجانبية، والمقعد المريح في السيارة.

عندما وصلا الى غوزورث لم تكن مزدحمة ، وقد بدا أنهما حصلا على البيت وحدائقه لنفسيهما.

خلال تنقلهما الصامت من غرفة لأخرى، تمتعت ساندرا برؤية غرف وأشياء مألوفة لديها، في حين كان ريمون يتعرف عليها للمرة الأولى. كانت تدقق بمحتويات المنزل وتخضع لسحره كما كانت تفعل في كل مرة تزوره.

بعد ان زارا كل أرجاء الطابق العلوي، بصمت شبه تام، تمتمت:«إنه ليس بيتاً واسعاً، قد يكون لديك أفكار اخرى في رأسك. يمكننا...»

أجابها بهدوء:«إنه مثالي. وأنت الرفيقة المثالية لمشاركتها فرحة الاستمتاع به. قليلون هم الأشخاص الذين يتمتعون بموهبة الصمت والخضوع لرهبة الأماكن والأشياء التي تعبّر هي عن نفسها.»

اعلنت ساندرا بارتباك، عاجزة عن اخفاء ما يعتمل في قلبها بعد سماعها تعليقه:«احياناً اشعر بأني مملة جداً.» عاجزة عن اخفاء ما يعتمل في قلبها بعد سماعها تعليقه وأضافت:«يبدو أني لا أعرف ابداً بماذا احدث الآخرين. كاتي تقول أن سبب ذلك هو وحدتي الدائمة.» تغيرت ملامح وجهها وتابعت:«لا اعرف الكثير حول ذلك...»

قاطعها ريمون بحزم:«انت لست مضجرة على الاطلاق. المضجر هو من يبدأ بالثرثرة الى ما لا نهاية ويتحدث عن لا شيء الى ان تشعرين بأنك سوف تصابين بالصمم.»

كانا على وشك النزول على السلالم، واقفين معاً في تلك المساحة الصغيرة المغلقة، شعرت ساندرا، وعلى الرغم من ان زوجاً آخر يمكن ان يمرا بينهما، بأنها كانت قريبة جداً من ريمون.

شعرت بحس خطير من الترقب، من الإثارة، يجري في عروقها ويشد عضلات جسدها ويغرقها في توتر مقلق.

الفصل الرابع

«شكراً لأنك جئت بي الى غوزورث.»

كانا يتنزهان خارجاً في الحدائق، ثم ما لبثا ان توقفا على منحدر صغير ليتأملا بإعجاب منظر البيت الكبير الجاثم بجلال وهيبة على جرف كبير تحت نظرهما.

«إني احب المجيء الى هنا. تجرى في الصيف الاحتفالات الموسمية، بالإضافة الى كرنفال يقام في الحدائق المحيطة بالمنزل. ليضم العديد من الألعاب. يأتي الناس باكراً للتنزه على العشب عندما يكون الجو جميلاً.»

«استطيع تخيل ذلك.»

نظرت إليه ساندرا نظرة سريعة، نظرة شك، متسائلة: هل كان يسخر منها؟ هل يقارن نمط حياتها بنمط حياته، يتهكم عليها ويعتبرها امرأة غبية متوسطة العمر، حياتها موحشة جداً ومملة بحيث أن مجرد أمسية احتفالية بسيطة اصبحت شيئاً بغاية الأهمية والإثارة، وعلى ذلك، يمكنه تفسير لهفتها على هذا الحدث. لكن عندما نظرت إليه لم تستطع ان تقرأ في عينيه إلا تعبيراً مخلصاً وصالحاً. لكن حتى ذلك...

«كاتي تكره هذه الاحتفالات، المرة الأخيرة التي رافقتني فيها، لم تتوقف عن التذمر لأن البعوض قد افترسها.»

«أدرك هذا الشعور، لقد اختبرت بنفسي مثل هذا

الموقف المضجر والباعث على التوتر عندما ارتكبت أكبر حماقة في حياتي ورافقت أبناء إخوتي الى احتفال موسيقي صاخب.»

اخبرته ساندرا بتحد:«كاتي تحب موسيقى الروك الصاخبة.»

«اتوقع ذلك. وأنا في مثل عمرها كنت أحبها، لكنها سوف تنضج. كلنا نفعل.»

ماذا يقصد في ذلك، أنه يتوقع منها ان تنضج؟ بالطبع يجب ان يكون على معرفة بميول كاتي، ما تحب وما تكره؟ بالطبع كان من المستحيل عليه ان لا يلاحظ تعلق كاتي بالموسيقى الرائجة حديثاً، الموسيقى الصاخبة التي حقا قد تؤدي الى الصمم. لكنه كصديق لكاتي وحبيب وجب عليه معرفة ميول كاتي وهواياتها. لكن هل كان رجلا لا يهتم بحبيبته وحياتها طالما هي خارج السرير؟

شعورها رفض تلقائياً تفكيرها. بسبب... أو هكذا اقنعت نفسها... لأنها لا تستطيع تحمل مجرد التفكير بأن طفلتها الجميلة والذكية كاتي غبية، وبحاجة الى رجل لدرجة تسمح فيها لنفسها بأن تتورط مع أي رجل حتى ولو كان يعاملها بهذه القسوة.

لا، هذا بالأحرى دورها هي. هي من كانت تنقصها خبرة، تنقصها المعرفة والثقة بالنفس، وبالتالي قد تقحم نفسها بمثل هذه العلاقة. ليس لأن لديها النية في التورط في علاقة عاطفية حميمية، او حتى علاقة عابرة مع...

ارتجفت قليلاً. أفكارها ومشاعرها كانت تدور بسرعة وتخرج عن سيطرتها.

«الطقس بارد؟ إنها غلطتي. لقد اختطفت بك طويلاً على أعلى هذا التل.»

نفت ذلك مبتسمة، قبل ان تستطيع تبين جواب قلبها المجنون الذي يعلن انها حتى ولو كانت تشعر بالبرد فإن ابتسامة ريمون الدافئة لا بد وأن تبدده.

كانا يقفان متقاربين جداً، مجرد خطوة صغيرة يقوم بها أحدهما كانت كافية لتجعل جسديهما يتلامسان ويسري خلالهما ذلك التيار، وبالنسبة اليه يكفي ان يرفع ذراعه ويضعها حول كتفيها، يكفي ان يضمها ويديرها لمواجهته ثم...

غصتها ولهاثها جعلاه يلتفت إليها ويتأملها بعبوس. للحظة شعرت بأنه قد نظر حقا الى قلبها وقرأ ما كانت تحاول بيأس اخفاءه.

لقد كان حبيب ابنتها، ذكرت نفسها بحزن، مبتهلة بصمت لنجدة من ينقذها. لأحد أو لأمر يساعدها لتجاوز هذا الصراع الذي يدور فيها بجنون ويجعلها تفقد السيطرة على ذاتها.

حاولت ان تتخيل كم هو مخجل ومذل لها ومؤلم ومحبط لكاتي ان يكتشف ريمون ما كان يدور في خلدها ويخبر ابنتها به. قد يكون لكاتي الحق بعد ذلك ان تشعر بالصدمة والاشمئزاز منها. هي نفسها قد شعرت بهذه الاحاسيس وأكثر.

لم تستطع ان تفهم السبب، وبعد كل هذه السنين

ومنذ موت جيمي وعلى الرغم من توقها في بعض الأحيان، علاقة عاطفية مع رجل يحبها ويدللها، إلا انها لم تجرب مرة واحدة أي شعور كالذي يعتريها الآن. شعور حاد، ماض أليم يوقظ في نفسها غريزة حسية نكرة، وأسوأ ما في الأمر ان شعورها هذا هو لهذا الرجل من دون كل الرجال.

هل لأنه حبيب كاتي؟ قد تكون، في بعض الأماكن المظلمة من نفسها، في بعض زوايا روحها تحمل حسداً وحقداً لابنتها.

ارتجف قلبها للفكرة برعب حقيقي خانق. عرفت بأنه لم يكن كذلك. لكن في تلك الحالة، ما هو التفسير الصحيح؟

قد يكون سنها؟ نظريات موحشة وأفكار غريبة مزقت رأسها. لقد قرأت مقالة في مجلة محلية أن مع اقتراب المرأة إلى سن اليأس تميل الى اعتناق بعض التصرفات الغريبة. وهي الآن بغض النظر عن كل شيء في السادسة والثلاثين.

«هل إن معرفتك بالتاريخ المحلي للبلاد يمتد ليشمل مكاناً ما، نستطيع تناول طعام الغداء فيه؟»

كان عليها ان تعيد هذا السؤال البسيط اكثر من مرة في مخيلتها. ما معناه؟ حملقت به بعينين ملؤهما الرعب والخوف، مما دفعه لأن ينظر الى وجهها بقلق قبل ان يسألها برقة:«ماذا هناك؟ هل من خطب؟»

لقد كانت تعتقد بأن المودة بين الرجل والمرأة تبدأ بالملامسة، لكنها كانت مخطئة، أدركت ساندرا، كما

أدركت كل ذرة من جسدها ان أحاسيسها تستجيب بعنف مع نبرة صوته، وكأن إيقاع وحرارة ورجولة نبرته، وضعت شباكاً خفية حولهما وسجنتهما معاً.

«أنا... أنا... اعتقد بأن كاتي سوف تتساءل عن مكان وجودنا.» هذا كل ما استطاعت ان تنطق به.

شعرت بألم في حنجرتها. لقد كانت تعلم ان داخلها يرتجف من الصدمة والعاطفة. لم تعش في حياتها مثل هذا الشعور ولم تختبره من قبل حتى عندما علمت أنها حامل، وبالطبع ليس ايضاً عندما كانت هي وجيمي...

«لا اعتقد ذلك. لقد لمحت إلى أنها قد تقضي معظم النهار برفقة صديقتها. قد أكون لا أعلم الكثير عن الفتيات الشابات، لكن يبدو لي أنهن متى التقيتا، يجدان الكثير من المواضيع لبحثها.»

«أنا...» لماذا لا تقول له بكل صراحة وعزم إنها لا تريد تناول طعام الغداء معه؟ لماذا لا تذكر نفسها وتذكره بكاتي؟

لماذا تتصرف وكأنها غبية حمقاء؟ فقط لأنه دعاها للطعام، هذا لا يعني انه يريد...

ماذا؟ يريد ان يراودها؟ طبعاً لن يفعل. إنه فقط يتصرف بتهذيب. فهي، قبل كل شيء والدة كاتي، وإذا لم يكن قد اكتشف لغاية الآن مدى تأثيره عليها فإن تصرفها الحالي، رفضها تناول الطعام برفقته وسلوكها كابنة تسعة عشر ربيعاً، سوف يكشف له قريباً جداً الحقيقة.

سمعت نفسها تقول بصوت أبح:«أنا... فكرة الطعام ليست سيئة.» في حين كان قلبها يدور في قفصها الصدري وكأنه كرة تتقاذفها الرياح. ولم يكن هناك شيء تقوله لنفسها حول التربية الحسنة او التصرف بنضوج، يمكنه ان يخفي التوتر الذي تشعر به.

انتهى المطاف بهما الى تناول طعامهما في مطعم هادىء، يقع في منطقة ريفية جميلة، تبعد عدة أميال عن غوزورث، حيث جلسا الى طاولة تطل على منظر رائع وكان الطعام شهياً ولذيذاً.

حين رمق ريمون ساعة يده وأعلن بأسف انه حان وقت الذهاب لم تستطع ساندرا ان تصدق بأن قرابة الساعتين قد انصرمتا بهذه السرعة.

كان لديه طريقة خاصة في جذبها من تحفظها، ودفعها للتكلم عن نفسها. كما اخبرها عن نفسه، مما جعلها تستنتج كم كانت بحاجة لأن تكون برفقة رجل جذاب ومسلٍ. يبدو أنه ايضاً يراها جذابة ومسلية بالقدر نفسه.

لكن كل هذا هراء، طبعاً. يجب ان يكون كذلك. حذرت نفسها عند خروجهما من المطعم. إنه فقط يحاول ان يكون مهذباً. هذا كل شيء. وهي كما الطفلة الغبية كانت تبالغ في رد فعلها. المشكلة أنها كانت غير معتادة على رفقة الرجال وبالتالي فقد نسيت كيفية التصرف برفقتهم.

سألها ريمون مشيراً إلى ممر صغير للمشاة بمحاذاة موقف السيارة:«هل تودين القيام بنزهة قصيرة قبل

العودة؟ اعتقد بأن الهواء النقي وبعض التمارين قد تساعدني في عملية هضم الطعام.»

وافقت بصمت بإيماءة من رأسها.

كان الممر يؤدي الى درب ضيقة، يحيط بها سياج مرتفع ومتصل بسلم خشبي. ينحدر بجانبه حقل جميل ليصل إلى، ما يبدو عن بعد وكأنه جدول صغير.

لقد بدا السلم الخشبي بالنسبة لساندرا، من الصعب اجتيازه. إحدى دعائمه مفقودة وفي حين كانت تحاول تخطيه انزعجت من قصر قامتها، لو أن احداً بطول كاتي يريد اجتيازه لكان قام بذلك بسهولة، بينما هي بقامتها الصغيرة، كان عليها ان تتسلقه بطريقة مشينة وغير لبقة.

كانت على وشك العبور عندما لاحظ ريمون ترددها فعرض عليها:«دعيني اساعدك.»

قبل ان تعترض او حتى ترفض كان قد استدار وحملها بسهولة وكأنه يرفع ولداً صغيراً، على الرغم من سنه. لقد كان قوي البنية، فكرت ساندرا وهو يضعها ارضاً.

مع ان لمسته لم تكن تحمل أي مغزى، فقد شعرت ساندرا وعلى الرغم من سماكة ثيابها، بضغط راحتي يديه إلى جانب صدرها، وبشدة انفعالها وتوترها لضغطه هذا. وشكرت حظها لأنه لا يستطيع ان يرى ما يعتمل في داخلها.

تقلصت معدتها نتيجة خجلها وشعرت بمرارة في فمها. في اللحظة التي وضعها فيها على الأرض،

تنحت بعيداً عنه بسرعة، آملة بأن يفسر انخطاف لونها نتيجة لحركة النسيم البارد.
عاجزة من ان تحمل نفسها على العودة الى طبيعتها، لجأت الى سؤاله عن عمله وهي تحاول ان تلهي نفسها عن انجذابها إليه.
أخبرها كم كان تواقاً لأن يصبح كاتباً ولكن كقارىء متعمّق كان مدركا للمصاعب التي قد تواجهه في حال امتهن التأليف. وكان اتخذ قراره بأن الكتابة لن تكن إلا هواية يحبها ويلجأ إليها، وكيف جمعته الصدفة مع ناشر مشهور قدير، وبعد عدة لقاءات بينهما، تشجع وعرض عليه المسودة الأولى لعمله.
قال لساندرا مبتسما:«لقد كنت محظوظاً.» فاعترضت بصورة آلية متناسية تحفظها وخجلها لتؤكد له بحماس أنه كان من المؤلفين الذين أعجبت بهم وبقدرتهم، وأن الخلفية التاريخية التي تمتعت بها كتبه كانت قيمة، تدفع الفرد لقراءتها والتمتع بها.
شعرت أنها ربما قد تكون بالغت برد فعلها وحماسها، توقفت فجأة وقالت بتردد:«اعتقد بأنك قد تعبت من سماعك هذه التنويهات.»
«ابداً، وخصوصا عندما تكون حقيقة، وليست تملقاً.» اكد لها بدفء وتابع:«مع ذلك عليّ ان اعترف بأني قد أشعر بالإحراج عندما اتلقى ثناءً لا استحقه.»
أصرت ساندرا:«بل انت تستحقه.» ووقفت ثم استدارت لتنظر إليه وتابعت:«اعتقد ان كاتي قد ذكرت لك مدى استمتاعي بقراءة رواياتك.»

وافقها بجدية وأردف:«نعم، لقد ذكرت ذلك. لكني اعتقدت انها تحاول استرعاء انتباهي، فلم أعلق أهمية على الأمر.»
لم تستطع ساندرا ان تفهم ما قصده في حديثه فترددت.
قال ريمون بهدوء ثم تابع:«إني شاكر حقاً لضيافتك وسماحك لي بالمكوث معك. المؤلف ليس شخصاً مثالياً، يمكنك الاعتماد عليه في جميع الأوقات وخصوصا اثناء عمله. إنه يميل لأن يكون انانيا ومستغلا للآخرين. حتى أني احيانا قد أعمل لوقت متأخر في الليل. اتمنى ان لا يزعجك صوت الآلة الكاتبة...»
اجابته ساندرا:«انا اكيدة من انه لن يزعجني.» هل يذكر ذلك أمامها فقط ليحذرها من انه حين يعمل: يريد الانفراد بنفسه من دون ان يقاطعه أحد. حسنا، يمكنها ان تتفهم ذلك. فهي ايضا ومن وحي خبرتها الشخصية وعملها كرسامة، تشعر بحاجتها أحيانا للوحدة إذا أرادت ان تنجز عملا ناضجا.
قالت في محاولة لإفهامه بأنها لن تتطفل على خلوته وتضايقه بثرثرتها وبخدماتها الوفيرة:«اعتقد انك تريد ان تترك وشأنك اثناء عملك.» ثم تابعت:«إذا اردت ان تخدم نفسك، بالنسبة إلي، لا أمانع في تناول الفطور صباحا، وأثناء عملي أكتفي بشطيرة أو أي شيء خفيف. وبعدها على العشاء... اعتقد بأنه سيكون لديك ترتيبات خاصة بك.»
«هل هذا يعني ان ذلك ما تريدين ان يحصل؟»

كان سؤاله مفاجئاً، مباشراً جداً. نظرت إليه باندهاش متسائلة بحنق، ماذا يريد منها ان تقول:«أنا... أنا...»
من الواضح جدا انه كان ينتظر جوابا معينا على سؤاله، فبدأت غير واثقة:«... حسنا، أنا...»
قاطعها ريمون قائلا:«اعتقد ان لديك الترتيبات الخاصة بك، قد يكون لديك حياة اجتماعية حافلة وبالتالي لا يمكنك مشاركتي طعام العشاء. إلا انه بالنسبة إلي أفضل التمتع برفقتك وتمضية ساعة أو ساعتين استرخاء في صحبتك، متخلصا بذلك من إرهاق النهار، ما رأيك؟»
هل كان يسخر منها؟ فهو بالتأكيد قد علم من كاتي بأن حياتها الاجتماعية كانت محدودة جداً، فهي نادراً ما كانت تخرج، حتى ان صديقاتها غالبا ما تذمرن من وحدتها.
لا ريب أنه يسخر منها، فأجابته بحزم:«كنت بكل بساطة أحاول ان أقول إنك لست ملزما بأن تتناول طعامك معي.»
أدارت وجهها محاولة ان تنهي تلك المحادثة التي أخذت تتحول الى المواضيع الشخصية، الحميمة. إلا انها سمعته يقول بحنان:«من قال إنه سيكون إلتزاما؟ كنت أفكر بأن ذلك سيكون من دواعي سروري... وممتعا بالنسبة إلي...»
شعرت ساندرا برجفة، لو لم تكن تعرفه على حقيقته لكانت صدقت أنه يعني ما يقول... أي أنه يحاول مغازلتها، إنه يحاول ان يفهمها بأنه فعليا

قد وجدها جذابة ومثيرة وهذا بالطبع مستحيل. إنه متورط مع ابنتها، هذا الواقع إضافة إلى رد فعلها الشخصية تجاه هذه المعرفة. كانا يدفعانها الى الغثيان.
إبتهلت بيأس ان لا تكون كاتي غارقة جداً في حبه، فهي متأكدة من أنه لا يمكن لرجل مثله ان يبادلها عمق هذا الحب وقوة هذه المشاعر. وآخر ما كانت تريد هو ان تتعرض ابنتها الغالية لأي خطر. وعاجلا أم آجلا سوف تتعرض لهذا الخطر. إنه أمر محتوم من رجل مثل هذا. عاجلا أم آجلا ستظهر امرأة أخرى، امرأة اخرى على نقيضها هي، لن تفكر مرتين قبل التجاوب مع تعليقاته، ومع دفء عباراته، مع عاطفته، وحين تفعل...
ارتجفت بشكل واضح مما دفع ريمون للعبوس وقال: «اتشعرين بالبرد؟... اعتقد بأنه من الافضل ان نعود.»
أن نعود... فقط؟ لو ان ساندرا كانت قادرة على العودة الى ما قبل لقائها بريمون.
ما كاد يمر على معرفتها به اربع وعشرون ساعة، وبرغم ذلك، كانت هذه الساعات الأربع والعشرون كافية لتغير حياتها.. لتغيرها، لتكشف النقاب عن مكامن نفسها، لتواجهها بمشاعر وأحاسيس دفينة، ما اعتقدت يوما بأنها موجودة. فقط لو علمت عنه أي شيء قبل ان تقابله، فقط لو تسنى لها الوقت لتحضر نفسها... إلا أنها كانت متأكدة من ان لا شيء مما

كانت ستفعله كان سيحميها من العدو القابع في أعماق ذاتها.
لقد كان والدها محقاً حين أصر عليها بأن تعيش حياة منفردة. لكن هل هو وبطريقة ما، استطاع سبر أغوار نفسها لكي يراها على حقيقتها...
لكن إذا كانت طوال هذه السنين تقبع بداخلها هذه الأحاسيس المتأججة هذه الرقة اللاهثة، هذه الحاجة لأي عطاء، لتضعها في شكل أكثر وضوحاً وأكثر قسوة... إذاً، لمَ لم تظهر لها سابقاً؟ لمَ لم تشعر ابداً في حياتها بهذا الشعور تجاه أي كانَ؟
كان سؤالاً أبعد من ان تستطيع الإجابة عليه وهي على هذه الحالة من الارتباك والحيرة. كان ريمون قد استدار في طريق العودة فبقيت على بعد خطوة منه، تنتظر منه ان يعبر السلم الخشبي أمامها، ولكن تجمدت في مكانها حين استدار نحوها باسطاً يديه تجاهها لمساعدتها.
من النظرة التي ألقتها عليه، عرفت أنها قد ترددت طويلاً، عرفت أن جسدها قد بدأ فعلاً يرتجف من الخوف من أن يحملها، ومهما كانت حركته عادية إلا أن لا شيء قد يمنع الاستجابة له، وحتى الآن، وهي واقفة في مكانها شاخصة إليه، بين دقة قلب وأخرى، كانت قادرة على تحسس قربه منها. كانت قادرة على سماع دقات قلبها الهادرة، شعرت وكأن قلبها سينفطر لا محالة، وسيصيح ويتوسل للرأفة به.
تملكها رعب شديد مما قد يحدث، وكيف أنها سوف

تذل نفسها وتخون كاتي إذا خطت خطوة واحدة تجاهه، فقالت له بصوت وكأنه الجليد:«لا عليك، استطيع تدبر أمري.» وبابتسامة مريرة تابعت:«انت تعلم بأنني امرأة راشدة، ولست بطفلة.»
كانت هذه اسوأ عبارة يمكن ان تنطق بها، فالنظرة التي رمقها بها أحاطتها من كل جانب، وجعلت أعماقها تذوب شيئاً فشيئاً.
أجابها بحزم:«نعم. إني اعلم ذلك جيداً.»
بعد ان خطت خطوة واحدة تجاه الجانب الأخير من السلم، قال:«برغم كل شيء، اعتقد بأني رجل ولست بطفل.»
اقنعت نفسها ان ذلك لم يكن إلا من نسج خيالها، وأنها تركت العنان لمشاعرها، لرغبتها في جعل هذه الكلمات تخرج من فمه. كلمات على الارجح لا يمكن ان تتفوه بها.
اتت صرختها المخنوقة عفوياً، وكذلك كانت رد فعل ريمون، إذ أنه استدار نحوها وأمسكها برقة بين ذراعيه وجذبها نحوه. وجدت ان المسافة بينهما أقرب بكثير من تلك التي أخافتها من دقائق حين عرض مساعدته لها على اجتياز المعبر الخشبي.
لا يمكن لهذا ان يحدث، قالت لنفسها بيأس حين سمعت صوت قلبها الصارخ ولهاثها الحار، بعد ان اشتمت رائحته.
لاعب النسيم خصلات شعرها فانسدل قسم منه على وجهها، قد يكون ذلك ببساطة السبب المباشر لرد فعله

العفوية رفع يده وبرقة متناهية دفعها عن وجهها الى خلف أذنيها، ونظر بحنان الى أعماق عينيها وكأنه يفتش عن أمر ما، كأنه ينتظر.

اخبرت نفسها أنه ربما ينتظر ان تدفعه عنها، بانتظار حركة منها لإفهامه بأن مداعباته هذه غير مرحب بها، أو كان بانتظار ان تتذكر كاتي، لكن بدلا من ذلك حملقت به بدورها وفتحت شفتيها قليلا في محاولة لالتقاط انفاسها وتعبئة رئتيها بمزيد من الهواء. وفكرت بألم أنه لا بد ان يكون شعر بتأثيره عليها وقرأ الدعوة في عينيها، إن لم يقرأها من خلال تجاوبها، لأن يده الراقدة على خصلات شعرها ما لبثت ان اصبحت أكثر رقة وإبهامه داعب أذنها ولامسها بنعومة وكأنها غارقة في معطف من الفرو الناعم، حاولت تحكيم عقلها ومحاربة ذلك الشعور الذي احدثته لمسته.

علمت ان لهاثها السريع قد يكشف عن أمور كثيرة طالما حرصت على اخفائها. امرأة غيرها، أكثر خبرة ونضوجا ما كانت استجابت بهذه السرعة ولا بهذا الشكل المحرج مع مداعبته الخفيفة، هذا إذا كانت مداعبة حقا وليست أكثر من سؤال رقيق او ايحاء. أمر عادي يمكن لكلاهما ان يتجاهلاه بهدوء وروية، واعتبار مرور أصابعه على بشرتها حدثا عرضيا سريعا. فقط لو انها لم تبالغ في رد فعلها. إلا أن جسدها المرتجف، عيناها المشعتان، تنفسها المتقطع، لهاثها الواضح، شكلت بالتأكيد دعوة صريحة، أكثر مما لو أنها نطقت بهذه الدعوة بصوت عال.

من المؤكد انه ادرك مشاعرها ولم يجد صعوبة في فهمها، لأنه وقبل ان تفكر بمقاومته، أمسك بذقنها ورفع وجهها نحوه لدرجة انها أحست بقوته وضعفها، حاولت نفي هذه المعرفة وهذه الرؤية لرغبتها وانفعالاتها التي تعتمل في داخلها، حاولت ان تطردها خارج كيانها وتقنع نفسها بأن ذلك كله يعود فقط الى خيالها ورد فعلها المبالغ فيها.

لو لم تكن غارقة في صراعها هذا لكانت ربما استطاعت ان تتفادى العناق. ولكن وبما أن هذا ما حصل، وجدت نفسها تحدق بأعماق عينيه كمراهقة متيمة، علمت أنه سوف يعانقها وأدركت أنها يجب ان تمنعه، وفي الوقت نفسه أيقنت أنها لن تقوم بذلك.

المعانقات الوحيدة التي تلقتها خلال عشرين سنة، أتت من والد خجول متحفظ، او من ابنة محبة مدللة، او من صديقات، يرمين قبلاتهن على خدها. وفي مناسبات خاصة جدا، عندما تقف عاجزة عن تجنب او تحاشي تلك التي هي غير المرغوب بها من معارفها الرجال. ذكرى قبلات جيمي تبدو لها الآن مبهمة وغير حقيقية. كان جيمي يضحك من ترددها في مشاركته العناق، لأنها حينذاك كانت تجده شيئا مزعجا.

مع كل ما ينقصها من خبرة ومع كل سنين العزلة، يوجد في مكان ما من أعماق نفسها غريزة مؤلمة، ومعرفة فطرية خافية عنها، ومسجونة داخلها، ذلك انه في اللحظة التي عانقها بها، اغمضت عينيها وعندما أبعدها عنه قليلا رمشت أهدابها ورفعت جفنيها بتثاقل

ورغبة، غشت عينيها غيمة سوداء من الارتباك. فكرت ساندرا أنه ما قام بذلك إلا تلبية لتوسلها له للقيام به.

كرر ذلك مرات عديدة وفي كل مرة تفتح عينيها مقتنعة بأنها المرة الاخيرة وأنه على وشك ان يبعدها عنه ويخلي سبيلها. حيرها سؤال قرأته في عينيه وبدا عاجزاً عن الإجابة عليه. كأنه يفكر بأمر معين، ولكن ما هو؟

ابتعد عنها قليلاً وهمس:«لا يجدر بنا القيام بذلك.» بالتأكيد لا يجدر بهما القيام بذلك. تجمدت فوراً وشعرت بالمرض والغثيان نتيجة لتصرفها، تملصت من بين ذراعيه بسرعة وحزم.

أجابته بحزم:«لا، لا يجدر بنا القيام بذلك.»

كانت ترتجف بشدة مما جعله يدرك رد فعلها. كيف أمكنها ان تفعل ذلك؟ كيف سمحت لذلك بأن يحدث؟ ولماذا حصل؟ من الواضح انه كان مجرد رجلاً جذاباً من الصعب مواجهته، وقادراً على السيطرة على نزواته، وإلا لما تجرأ ابداً وحاول لمسها. فهي والدة كاتي.

لكن... لكن ليس هناك من شيء في شخصيته يدفع الى الاعتقاد بأنه كان عاجزاً عن السيطرة على نفسه... يبدو عليه أنه يحاول توكيد ذاته او تعويض عقدة نقص في نظرته لرجولته. ولكن... لا بد ان يكون كذلك وهو الذي سمح لنفسه بغواية فتاة مراهقة. وقد تكون بلغت به الوقاحة والغرور ان يعتقد

بأنه يستطيع الحصول عليهما معاً، الوالدة والفتاة، ربما...

حاولت بيأس ان تسيطر على عواطفها، على تنفسها، على دقات قلبها المشوشة، على ضعفها وجسدها ومشاعرها. شعرت أنها على وشك البكاء، لكن الدموع كانت شيئاً لن تسمح لنفسها ابداً بالقيام به. لقد تعلمت منذ زمن بعيد بعبثية وخطورة الشعور بالشفقة على النفس والخنوع.

لقد شعرت الآن أنها اكثر هشاشة من ذي قبل، تملكها خوف لم تشعر بمثله طيلة حياتها، وكل ذلك بسبب هذا الرجل، تملكتها رجفة صغيرة... كل ذلك بسبب هذا الرجل الذي ليس له أدنى الحق بأن يجعلها تشعر على هذا النحو. هذا الرجل الذي يفترض ان يكون مرتبطاً بابنتها. هذا الرجل الذي، منذ لحظة وجيزة، خانت معه ذلك الارتباط وخانت ابنتها كاتي.

لم تستطع تحمل عبء ذنبها. أرادت ان تسأله لتعرف إذا كان يفكر بكاتي، إذا أدرك ما فعله، إذا كان مثلها يتعذب من مشاعر الذنب، من مشاعر القلق والكآبة، لكنها لم تجرؤ على ذكر اسم ابنتها. ليس بهذه السرعة بعد ان كانت بين ذراعيه. ليس بعد ان تجاوبت معه بهذا الاستهتار، بهذا الشوق. لقد شاركته في تلك الخيانة. ومجرد ذكر ابنتها الآن سيكون وكأنها تقوم بخيانتها للمرة الثانية.

بدلاً من ذلك واست نفسها وقالت بصوت خافت:«كيف أمكنك؟ كيف امكنك ان تتصرف بهذه... بهذه الدناءة؟»

في اللحظة التي استدارت بها مبتعدة عنه، لحظة عبوسه حين سألها باقتضاب:«انت تبالغين، أليس كذلك؟»

امسكت نفسها وتقلصت وهي تشعر بالألم والاشمئزاز من نفسها. لحظة إخرى وكان سيقول لها إنه كان مجرد عناق. حسنا، قد تكون قليلة الخبرة لكن ما حصل لم يكن مجرد عناق. ورد فعلها لم يكن مبالغا فيها.

ألقت عليه نظرة عنيفة تدينه وقالت بغضب:«إني أبالغ؟ لا اظن ذلك. وخصوصا في مثل هذه الظروف.»

زاد عبوسه وأضاف:«حسنا، أرى انني قد اسأت فهم هذا الوضع كليا.»

الحذر والحيطة انذراها بأن لا تجيب، لكنها كانت مدفوعة بشعورها بالذنب والألم، فتجاهلت هذه التحذيرات وسألته ببرود:«ماذا تعني؟»

النظرة التي رمقها بها كانت عميقة ومتأملة. ليست نظرة رجل يعذبه ضميره.

قال بصوت، يكاد يكون لطيفاً، وبأسلوب يكاد يكون لراشد ناضج يخاطب طفلا مشاكسا:«اعتقد بأنك تعلمين ماذا أعني.»

أجابته لاذع وقاس:«لا، لا في الواقع إني لا اعلم.»

كان ما يزال يراقبها بتلك النظرة الجدية المتسائلة والتي قد بدأت تثير أعصابها. قال بهدوء:«حسنا جدا، تصورت... اعتقدت... ان ما حصل بيننا لم يزعجك ولم يبد وكأنه ضايقك.»

ثوان عديدة مرت قبل ان تستوعب تماماً ما عناه، وعندما فعلت شعرت بدمائها تغلي فاحمرت غيظا وقالت بحنق:«انت تعتبر ان الذنب ذنبي؟ أنا اغويتك؟ اعتقد انك من نوع الرجال الذي... يغتصب امرأة ثم يدعي ان هذا ما ارادته.»

لقد كانت غاضبة جدا لأن تدقق بما كانت تقول، لتدرك كم أهانته، تغيّر لون وجهه وقال بحدة:«الآن، مهلا لحظة...» وتقدم خطوة واحدة باتجاهها في حين تقلصت هي وتراجعت خطوة الى الوراء، خائفة مما رأته من ثورة في عينيه.

بدا وكأنه أخذ نفساً عميقاً وأجبر نفسه على كبح مشاعر غاضبة قبل ان يقول بهدوء:«لم أكن ولو للحظة واحدة، ألقي اللوم عليك... او اعتبر ان احدا منا الملام. حتى أني لم أفكر بأن ما قمنا به يستدعي الاحساس باللوم. ما كنت أحاول قوله إنه عندما عانقتك فكرت... شعرت بأنك لم تكوني ضد ما كان يحدث بيننا أو ما اعتقدته يحدث بيننا.»

تقلص صوته من جديد ثم ما لبث ان أصبح أكثر حدة عندما خاطبها:«أما في ما يخص بتعليقك حول الاغتصاب، دعيني اؤكد لك ان فكرة اجبار امرأة ما، أي امرأة على التجاوب معي امرا أجده بربريا كريها. إني لا أدرك كيف يستطيع أي رجل ان يفرض نفسه على امرأة لا تريده، وإذا كنت قد اعطيتك انطباعا مختلفا، اعتقد أني مدين لك بالاعتذار.» اصبح صوته جليديا والاضطراب الظاهر الذي اعتراه جعل ساندرا

تشعر بموجة عارمة من الندم والخجل يعتملان في داخلها.

ما كانت تحاول القيام به هو لومه على أمر كانت تعرف حق المعرفة انها تشاركه به. أرادت ان تصرخ بوجهه ان ما حصل كان غلطتها هي، وان رعبها هو الذي دفعها للتصرف على هذا النحو السيء، كطفلة صغيرة، وأنها تعرف ان ما حصل هو... هو ماذا؟ ان كان على حق حين لمح أنها أرادته بقدر ما أرادها.

ألم تكن هذه، بكل بساطة، الحقيقة المطلقة؟

لكن قد تكون الحقيقة، ولكنها ليست بهذه البساطة... ليست بهذه البساطة على الاطلاق.

أعادها صوت ريمون الى الواقع حين تابع:«إذا كان ذلك يريحك، فإني اؤكد لك ان هذا لن يتكرر ابداً مرة ثانية، وأرجوك دعيني اتعهد لك بأن طيلة مكوثي معك تحت سقف بيتك ستكونين آمنة من أي... سوء تفاهم مماثل قد يحصل في ما بيننا.»

ما كان يعنيه هو انه لن يلمسها مجدداً، وإنها يجب ان تكون شاكرة له على مبادرته، لكنها بدلاً من ذلك شعرت وكأن غيمة سوداء غمرتها فجأة. ماذا كان يعني بأثناء إقامته تحت سقفها؟ بالتأكيد بعد الذي حصل بينهما كان الأجدر به ان يغير رأيه حول استعمال منزلها أثناء عمله في هذه المنطقة؟

لكن الظاهر أنه لن يفعل ذلك، وشعرت بأنها مرهقة جداً، ضعيفة جداً لأن تدخل في تحد جديد وتسأله ان يجد مكاناً آخر ليعيش فيه. إذا فعلت، فلا تعلم كيف

ستكون رد فعله؟ قد يتهمها بأنها تريده ان يرحل، ليس لأنها لا تثق بكلمته بل لأنها لا تستطيع الوثوق بنفسها.

كانا على وشك الوصول الى السيارة حين سألته بصوت مرتبك وهادىء:«لن... لن تقول شيئاً لكاتي، أليس كذلك؟»

شعرت بألم عظيم كونها مجبرة على ان توجه إليه مثل هذا السؤال، إلا أنها لم تستطع تحمل فكرة ان يُظهر استهتارها لابنتها... ويجعلها تنقلب ضدها بسبب ذلك.

كانت شبه متأكدة من ان النظرة التي رمقها بها كانت مزيجاً من الدهشة والاحتقار.

سألها بصوت جليدي:«لماذا علي ان أقوم بذلك؟»

لم يكن هناك شيء تجيبه به. لماذا بالفعل؟ جوابه أعادها الى وضعها الحقيقي. وكأنه أراد ان يخبرها بأن ما حصل بينهما... ذلك العناق الذي كان له كل ذلك التأثير القوي عليها... لا يعني له شيئاً على الاطلاق.

كان يجب ان تشعر بالارتياح والثقة، ولكنها بدلاً من ذلك شعرت بفراغ عظيم، بألم شديد ووحدة قاتلة لم تشعر بها قط طيلة حياتها.

www.elromancia.com

الفصل الخامس

شعرت بثقل في رأسها، أحست به يميل فوق كتفيها نتيجة خجلها وقلقها، تساءلت كيف لها القدرة على تمضية هذه الأمسية، كاتي ليست مغفلة. لا بد لها ان تلاحظ ذلك الصمت الحاد المخيم بينها وبين ريمون. ابتهلت وتمنت ان لا تعرف سببه على الأقل.

عادا الى المنزل بذلك الصمت المخيم والذي استمر حتى بعد ان عادت كاتي، وراحت بكل حيويتها وفرحها تسرد عليهما ما جرى لها من أحداث. ودام صمتهما خلال العشاء وما بعده.

لم يكن صمتهما بسبب حزنها او محاولة منها لمعاقبة ريمون او نفسها. انها تعلم بأنهما يستحقان العقاب. لكن ذلك بكل بساطة كان ناتجا عن خوفها، لم تجرؤ على محادثته، لأنها لو فعلت، لم تكن لتعرف رد فعلها أو فعله، خافت من قربها منه، خافت من ان تخونها تعابيرها.

حافظت على المسافة التي تفصل ما بينهما كما حافظت على صمتها. مجيبة على التعليقات التي كان يوجهها إليها بكلمات مقتضبة.

بعد ان اقنعت نفسها بأنه الحل الوحيد المتبقي لها، أعلنت انها ستأوي الى فراشها باكرا. تجاهلت تذمر كاتي وتعليقاتها بأنها ستنطلق غدا باكرا. وانها ما كادت تراها خلال هذه العطلة...

لم تستطع ان تجبر نفسها على قول التعليق الذي من الواضح يجب قوله، في ما إذا لم تكن كاتي قد اتفقت مع ريمون بأن يزورها في الجامعة خلال عطلة الاسبوع، فقد يمضي وقت طويل قبل ان تسنح لهما الفرصة ليلتقيا وحدهما مجددا. عوضا عن ذلك فكرت بأن كاتي سوف ترحب بانسحابها لتستفيد من فرصة تمضية بعض الوقت على انفراد مع ريمون.

لقد وجدت صعوبة بالغة في ان تجبر نفسها على الاعتراف بأن كاتي وريمون حبيبان، ولا عجب، من انها تجمدت فيما كانت ترتب سريرها.

اي نوع من الأمهات، هي التي طالما افتخرت بأمومتها، وطالما ضحت في سبيل تأمين حاجات ابنتها ورغباتها قبل أن تؤمن حاجاتها هي؟ هل كانت تضع مصلحة كاتي اولا حين سمحت لريمون، صديق كاتي بأن... بأن ماذا؟ بأن يعانقها؟

ارتجفت من الألم، لم تشعر قط في حياتها بمثل هذا الاضطراب وهذا الحزن. لماذا اختار جسدها ان يبدي هذا التوق؟ إنه قد يستجيب بقوة، إنه حتى الآن... أجل، حتى الآن، مجرد تذكر عناق ريمون، يوقظ كل تلك المشاعر والأحاسيس التي خبرتها بين ذراعيه؟

لم تعد كما كانت مراهقة شابة، او صغيرة يافعة. لم تعد كما لو... كما لو ماذا؟ صوت داخلي طالبها بإلحاح ان تكمل... كما لو انها مازالت امرأة؟ لكنها بالطبع مازالت امرأة.

حسناً اعترفت بألم. نعم مازالت امرأة، وامرأة مجنونة ايضاً. ولكن لماذا كانت ترغب بريمون؟ لقد التقت رجالاً آخرين والعديد منهم، ولم تستجب قط لأحد منهم كما استجابت له. لكنها كانت تعلم، ولو استلقت في سريرها، أنها لن تجد سبيلاً الى النوم. سمعت طرقاً خفيفاً على الباب، تقلصت عضلاتها وصعد الدم الى رأسها وتسارع نبضها.

ريمون! لكن لا يمكنه... لا، لن يقوم ابداً بهذا...

لم تدرك إذا كانت قد شعرت بالراحة او الاحباط حين فتحت كاتي الباب ودخلت الغرفة.

سألتها باهتمام:«انت بخير، يا أمي؟ تبدين شاحبة جداً.»

«انا تعبة، هذا كل ما في الأمر.»

جلست كاتي على السرير وهي تراقب والدتها، استلقت الى جانبها، ثم ما لبثت ان سألتها مستكشفة:«حسناً، ألم أكن على حق؟ أليس ريمون رائعاً؟»

شعرت ساندرا وكأن أحدهم قام بقطع كل شرايينها وأن دمها تدفق بحرارة وألم وغادر جسدها. «إنه... إنه... يبدو مسلياً.» هذا كل ما استطاعت قوله ثم أشاحت وجهها عن كاتي.

«مسلياً!» ضحكت كاتي بصوت عال وأضافت:«أمي، كيف يمكنك؟ شخصياً، اعتقد أنه اكثر الرجال جاذبية على الاطلاق. طبعاً إنه ليس من نوعي المفضل. إنه كبير جداً، اولاً، ثم إنه أوضح لنا عدم اهتمامه بطالباته الشابات. طبعاً فعل ذلك بتهذيب ورقة. يجب ان

تشاهدي كيف يهتم بطالباته المتحمسات. من العجيب كيف يستطيع قمع... أمي ما خطبك؟» سألتها كاتي بعد ان استدارت نحوها أثر سماعها الصوت الذي أطلقته ساندرا تعبيراً عن صدمتها فرأتها شاحبة الوجه، جاحظة العينين.

سألتها والدتها:«كاتي ماذا تقولين؟» تابعت بجنون وأضافت:«أعني، ليس الأمر انك تحاولين الإدعاء بذلك لطمأنتي، انت تعلمين ما أعني. ادركت فوراً، ما عنيته حين وصفت ريمون بالمميز جداً، ولو أنه عليّ ان اعترف بأني قد اعتقدت أنه اصغر سناً. أعني انه لا بد وأن يكون في الاربعين...»

اخبرتها مؤكدة:«في الواقع، واحد وأربعون.» ثم تابعت:«ما الذي تحاولين قوله؟ لا يمكن ان تكوني قد اعتقدت اني وريمون... أننا...» انفجرت كاتي ضاحكة. «لكن هذا مستحيل... لا استطيع تخيل ما الذي دفعك الى الاعتقاد... الآن فهمت لماذا قمت بكل تلك المقدمات عندما حددت لنا غرف نومنا. آه، يا أمي...» اقتربت من والدتها وضمتها بقوة. «بالتأكيد في اللحظة التي رأيت فيها ريمون أدركت... أن لي من العمر كي يكون والداً لي...» توقفت لحظة وألقت نظرة مفكرة، قلقة على ساندرا.

«هل هذا ما خطر في بالك؟ إني افتش عن صورة بديلة لأب فقدته؟» هزت رأسها نفياً وأردفت:«أمي، لقد انشأتني في أمان تام، بعيدة عن الانزلاق في مثل هذا النوع من العلاقات. انا لست بحاجة إلى

www.elromancia.com

أب، وعندما يأتي اليوم الذي احتاج فيه او أرغب فيه بحبيب، سيكون رجلا تربطني به روابط مشتركة... سيكون رجلا استطيع مشاركته حياته وخبراته، وليس شخصا يكبرني بعشرين سنة خبرة. ليس شخصا يعاملني كطفلة صغيرة. آه، يا أمي.. انتظري حتى أخبر ريمون بأفكارك هذه...»

جاءت رد فعلها فورية، تعلقت بذراع ابنتها متوسلة لها بأن لا تفعل وقالت بصوت أجش:«كاتي! لا، ارجوك، عديني بأنك لن تذكري هذا الأمر أمامه.» لاحظت نظرة كاتي المندهشة فتابعت:«ارجوك سوف أبدو كالبلهاء، سوف أشعر بالإحراج...»

«اعتقد حقا انك سوف تبدين كذلك. من خلال معرفتي به لا اعتقد ان ريمون سوف يسر باتهامه انه من نوع الرجال الذين يحاولون توكيد ذاتهم عبر مصادقتهم لمراهقات.»

وافقتها ساندرا:«لا.»

قالت كاتي وكأنها مازالت تعاني من صدمة ما سمعته، وعاجزة عن تصديق هراء والدتها:«لغاية الآن لا استطيع تصور السبب الذي دفعك لمثل هذا الاعتقاد بأننا أنا وريمون حبيبان.»

دافعت ساندرا عن نفسها:«انت قلت انه مميز بالنسبة لك.»

«حسناً، نعم، ولكن كان ذلك بسبب...» توقفت كاتي فجأة عن الكلام.

سألتها ساندرا بإصرار:«بسبب ماذا؟»

«أيه... لأنه ... لأنه مميز، ولأنه... لأنني اعرف لأي مدى تتمتعين بقراءة كتبه.»

اشارت ساندرا:«لكنك لم تخبريني في بادىء الأمر عن هويته الحقيقية.»

«إنه... لا... أردت ان افاجئك.»

وافقتها ساندرا ضاحكة:«لقد فعلت ذلك حقاً.» ثم اضافت بعد ان لمعت فكرة جديدة في رأسها:«لكن يا كاتي انت تعلمين أني ما كنت قد وافقت ابدا على مكوثه هنا لو لم أشعر بمدى أهميته بالنسبة إليك. أعني...»

«ماذا؟ ما الذي يفرق إذا لم نكن حبيبين، ما الذي يتغير؟»

كل فروقات العالم، أرادت ساندرا ان تجاوبها، ولكنها علمت انها عاجزة عن ذلك.

ارتعدت فجأة متسائلة ما الذي كان سيحصل بعد ظهر هذا اليوم لو أنها كانت على علم بذلك. تصرفت كالحمقاء ولكنها ليست مجنونة تماما.

رجل في مثل خبرات ريمون لا يمكن ان يهتم حقيقة بامرأة مثلها. آه، قد يغازلها، او يعانقها، او حتى يقيم علاقة معها إذا اعتقد انها ترغب بذلك. لكن هذا النوع من العلاقات لا يرضيها هي. انها اضعف من ان تتحمل عبء مثل هذه العلاقة.

الآن، بعد ان تخطت صدمتها الأولية، التي تمثلت باكتشافها ان كاتي وريمون ليسا حبيبين وجدت أن، الراحة التي كانت يجب ان تشعر بها، الاسترضاء

والتخلص من التوتر وكره الذات، هذه المشاعر التي كان يجب ان تحسها امتزجت كلها بمخاوف أخرى وشكوك جديدة.

ذكرت نفسها في وقت عصيب ان لا شيء يحدث بشكل عرضي... وأن لكل شيء سبب او هدف ولربما كان تصرفها في خداع نفسها وامتناع تفكيرها عن التعلق بأوهام خطيرة مقصوداً، هو ما دفعها لتفكر بأن ريمون وكاتي متورطان في علاقة ما. ما حصل بالتالي كان من حسن حظها في هذا الإطار، إذ أنها بذلك تجنبت فعلياً كارثة كانت ستحل بها نتيجة انجذابها الخطير لريمون. برغم كل شيء، هل توجد فكرة أفضل من ان تعتقد ان ريمون وكاتي عاشقان لتحمي نفسها وتضعها عائقاً ما بينهما؟ أما الآن وبعد ان تحطم هذا العائق وتخلصت منه، سوف تتصرف كحمقاء متجاهلة التحذيرات الصادرة عن عقلها وإدراكها.

كان من الواضح ان رجلاً مثل ريمون، رجلاً في مثل عمره وخبراته وجاذبيته لا بد وان يكون لديه وعبر السنين، علاقات عديدة مع نساء جذابات. وواقع عدم زواجه يشير الى هذا، على الرغم من ذكائه، جاذبيته، نضوجه، ورفقته الممتعة، لا بد وأن يكون في داخله تردد كبير، يمنعه من الوقوع فعلياً في ارتباط صادق متين وعلاقة دائمة مع شخص ما.

لكنه قد يكون مثلها، هذا ما أراده ببساطة، أي انه لم يجد بعد الشخص المناسب الذي يود ان يرتبط به.

حتى ولو كانت هذه هي القضية، من السخف ان تعتبر

انها قد تكون هي هذا الشخص المناسب. إنها من الممكن ان تكون ذلك الشخص المميز الذي قد يدفعه... يدفعه الى ماذا؟ للوقوع في حبها؟ الآن بدت سخيفة جداً. والأكثر من ذلك، انها كانت تتصرف كالبلهاء. الشعور الذي كانت تحمله له وما خبرته بعد ظهر هذا اليوم، لم يكن إلا رغبة متخلفة. يجب ان تكون كذلك. فالانسان لا يقع بهذه السهولة، خصوصاً وهي في السادسة والثلاثين، في الحب، في فترة لا تتجاوز الدقائق. فالانسان قد يقابل أحدهم، يعجب به، يتعرف إليه ويعدها ربما... تتطور علاقتهما لتصل الى سدة الحب او الثقة المتبادلة بينهما. هذه هي الطريقة المنطقية لحدوث الاشياء.

سألتها كاتي بقلق شديد:«أمي، هل أنت متأكدة من أنك بخير؟»

«ماذا؟ آه، نعم... نعم، إني بخير.»

اجابتها كاتي بصراحة:«حسناً، انت لا تبدين كذلك. آه، بما اننا مازلنا في هذا الموضوع، لقد قطعت لك وعداً، بأن لا أخبر ريمون بما اعتقدت، وأنا ايضاً اريد منك ان تعديني في المقابل.»

رمقتها ساندرا بحذر وسألت:«ماذا؟ أعدك بماذا؟»

«إنك لن تتصرفي بتحفظ شديد مع ريمون وتستغلي رحيلي، لكي تطلبي منه إيجاد مكان آخر ليمكث فيه.»

حملقت ساندرا بها. كيف أمكنها ان تعرف ما يدور في خاطرها من أفكار؟

اتهمتها كاتي وأردفت:«سوف تفعلين ذلك، أليس كذلك؟ أرجوك يا أمي، فكري فقط بي وكيف سأبدو إذا انت فعلت. لقد أكدت لريمون بأنك لن تعارضي ابدا، وأنك ترحبين بفكرة إقامته معك وأن هذه فكرتك ودعوتك، في الواقع، ثم تأتين أنت لتطلبي منه الرحيل؟»

«لكن يا كاتي...»

«لا. كنت سعيدة بما فيه الكفاية لأن تبقيه هنا عندما فكرت أنه وأنا... حسنا، عندما فكرت ما فكرت.»

اعترفت ساندرا بيأس:«اعتقدت انك أتيت به إلى هنا فقط كي أراقبه لك.» احمرت وجنتاها خجلا عندما انفجرت كاتي ضاحكة.

همست قائلة:«هل فعلا اعتقدت هذا؟ دعيني أقول لك شيئا، أيتها الأم البريئة... إذا كنت فعلا أريد التأكد من ان الذي سأختاره لن ينظر الى سواي. كوني أكيدة من أني لن اعرفه عليك ابدا.» تأملت وجه والدتها، ضحكت وتابعت مجددا:«آه، هيا لا بد وأنك قد رأيت مدى تعلق أولئك الفتيان الذين احضرتهم الى هنا بك؟»

اعترضت ساندرا بصوت أبح وأردفت:«كاتي، تعلمين كم هو معيب ان تقولي هذا. لقد كانوا فتياناً...»

سألتها كاتي بنعومة:«وريمون رجل؟ ستكونين بأمان معه، أنا متأكدة. ولو فكرت للحظة بغير ذلك لما... أما إذا كانت الأقاويل هي ما تقلقك...»

قالت ساندرا بغضب وتعنيف:«أقاويل؟ لا تكوني حمقاء، من الذي سيتناولني بثرثراته؟ انا امرأة

في السادسة والثلاثين من عمري يا كاتي.»

قالت كاتي محاولة استفزازها:«ولو انك لا تبدين حتى في السادسة والعشرين.» ثم تابعت:«مع ان نصف الرجال الذين يبعدون عنا أميالا، ينظرون إليك بشغف.»

جفلت ساندرا بوضوح واعترضت قائلة:«كاتي. هذا ليس صحيحا.»

اصرت كاتي بلهجة مرحة:«بالتأكيد انه صحيح، لكنك انت لا تريدين رؤيته. الآن هيا اريد هذا الوعد او أني سأذهب حالا إلى سيلاس وأخبره...»

«حسنا، حسنا، إني اعدك.»

ربما ريمون نفسه الآن قد اتخذ قرار الرحيل بعد ان اوضحت له انها لم تكن هي من ... وأنها لن... عضت شفتها بيأس بعد ان عاد الى ذاكرتها ما قالته له. لا عجب الآن من أن رد فعله على تعليقها جاءت غاضبة هكذا. ومن حسن حظها انها لم تشر لعلاقته بكاتي بوضوح ومباشرة.

ماذا لو فعلت... بلعت ريقها بتوتر. ما حدث ظهر هذا اليوم كان على الرغم منها. لم يكن من سماتها. لقد كانت محظوظة باعتقادها أنه متورط مع كاتي. آخر ما تبغيه الآن، آخر ما هي بحاجة إليه هو أن يقيم معها علاقة ثم يرميها بعد أن يضجر منها. رجل هو...

رجل، هو ماذا؟ عاد ذلك الصوت يهمس بحذر في داخلها. رجل يغويها، رجل لمساته وعناقه تعدها

www.elromancia.com

بأحاسيس لم تحلم ابداً بها او بأنها ستعيشها. لكن ماذا لو كانت الرغبة فقط هي ما تجذبه إليها، ماذا لو كانت رغبته بها موقتة، ماذا لو انتهى من عمله، وفرغ من كتبه، سيتركها ويمشي من دون ان يلقي عليها ولو نظرة وداع. لكن على الأقل تكون قد عاشت، عاشت حقاً... على الاقل تكون قد لامست النجوم وأدركت حقاً ما يعني ان تكون امرأة.

أرعبتها تلك الافكار الغادرة، المبتذلة. أجبرت نفسها على التوقف. حاولت ان تركز على ما كانت كاتي تقوله بعد ترددها في اعطائها ذلك الوعد الذي طالبت به.

ريمون ايضاً قطع وعداً ظهر هذا اليوم، وعداً بألا يلمسها ثانية ما دام يمكث تحت سقف منزلها. هل سيحتم وعده أم...»

بالتأكيد سيحترم وعده. وطبعاً تريده ان يفعل ذلك. لكن احقاً تريد ذلك؟

على الرغم من اصرار كاتي على ان لا توصلها الى المحطة، استيقظت ساندرا في السادسة من صباح اليوم التالي لتوصل ابنتها الى أقرب محطة.

اعترضت كاتي:«صراحة، يا أمي، لم يكن من داع لقيامك بهذا. لا ادري إذا كنت سأتمكن من العودة الى البيت قبل العيد.»

طمأنتها ساندرا:«لا بأس. أنا فتاة كبيرة الآن. لست بحاجة لأن تهرعي إلي كل نهاية اسبوع لتطمئني عليّ.»

هذا التعليق جعل كاتي تضحك محاولة اغاظتها وقالت:«آه، حقاً؟»

قبل ان تنطلق بسيارتها، ألقت نظرة غير متأكدة نحو المنزل. لم يكن هناك أي ضوء فيه. حتى غرفة ريمون كانت لا تزال مظلمة.

بعد ان قبلت كاتي قبلة الوداع وضمتها، لوحت لها مودعة مبتعدة وعادت أدراجها الى المنزل.

عليها اليوم ان تتفرغ لترتيب غرفة والدها القديمة، وتنظيف الغبار الذي تراكم فيها على مدى السنين منذ موت والدها.

كان عليها شراء بعض الحاجيات والتبضع. منذ رحيل كاتي الى الجامعة تعودت على شراء كميات قليلة من الطعام لكن الآن وبوجود ريمون...

هذا هو الحل، قالت لنفسها وهي تدخل بتردد الى المنزل. عليها ان تشغل تفكيرها دائما بأشياء تافهة، باهتمامات المنزل وحاجياته، بالحديقة، بهذه الطريقة لن يكون عليها ان تفكر بأمور اخرى مقلقة تتعلق بريمون او بما حصل بينهما.

حضرت لنفسها إبريقاً من القهوة الطازجة وجلست على كرسيها تداعب الكوب في يدها.

من حسن الحظ انها لم تبدأ بعملها الجديد، لذا سوف يكون لديها الوقت الكافي لتقوم بترتيب المكتب والتبضع. كما كان عندها بعض المهام المتراكمة، في الحديقة. ومع اقتراب العيد سوف يكون عليها ان تبدأ بالتفكير في شراء الحاجيات الخاصة بهذا العيد.

ستقوم بأي شيء... أي شيء يخطر ببالها حتى تبقى منشغلة طيلة الوقت، مشغولة الفكر واليدين.
كان قد مرّ قرابة نصف الساعة عندما وقفت ساندرا في وسط غرفة المكتب القديم تحاول زحزحته من مكانه حتى تستطيع تنظف أدراجه حين سمعت صوت صنبورة غرفة الحمام يأتي من الطابق العلوي.
عندما انتقلت الى هذا المنزل، قام والدها بإضافة حمامين، احدهما كان عبارة عن غرفة خشبية صغيرة محاذية لغرفة نومه أما الآخر فقد بناه بين غرفة نومها وغرفة كاتي التي كانت غرفة حضانة. وعند كبرت كاتي اضافت حمام بجانب غرفة نومها، حتى تتمتع بخصوصيتها وبعض العزلة.
الآن، ريمون يشغل غرفة الحضانة القديمة الخاصة بكاتي. بعد ان وضعت ساندرا سريرا داخلها، وهذا يعني انه يستعمل غرفة الحمام التي أضافتها.
شعرت بإحساس غريب يطعن معدتها لمجرد استنتاجها بأنه هناك، لم يسبق لها ابدا ان وجدت نفسها منجذبة لرجل بهذا الشكل. وجدت فجأة نفسها تخضع لخضم من الأفكار.
أفضل طريقة لتدفع عنها مثل هذه الافكار الخطرة، هي العمل بعنف وجدية بحيث أنها لا تعود إليها. عليها ان تسجنها في مكان عميق في داخلها. تمسكت بقرارها وعاودت محاولتها في إزاحة المكتب الثقيل الى وسط الغرفة حتى يستطيع ريمون عند الجلوس وراءه التمتع بالضوء القوي والمنظر الجميل عبر النافذة

وحيث يستطيع في الوقت نفسه الاستفادة من حرارة التدفئة المركزية.
بعد موت والدها، عملت على توضيب أوراقه، فكانت تحتفظ بالأهم منها، تنقلها الى مكتبها الخاص وترمي جانباً الأوراق غير الضرورية. لكن قامت بعناية بحفظ ملفاته الخاصة وحاجياته وأوراقه الشخصية مثل ألبوم الصور القديم والرسائل. اعتقدت ساندرا انها قد تفرح أولاد كاتي مستقبلا وتدخل البهجة في نفوسهم.
كان المكتب القديم ملاصق للحائط. أما الغرفة فقد كانت مليئة بأشكال مختلفة من الأثاث والأغراض المتنوعة بما فيها كرسي والدها المفضل، موطىء للأقدمين وغيرها العديد من قطع الأثاث الغريب.
قررت ساندرا ان تحتفظ بالمقعد والموطىء للأقدام في الغرفة وكانت قد وضبت رفوف الكتب التي كانت تغطي جزءا كبيراً من الحائط وملأتها بأنواع مختلفة من الكتب لكنها تركت الخزائن الصغيرة تحتها فارغة، كي يضع فيها ريمون أوراقه الخاصة.
فيما هي تجهد في صراع مع المكتب الثقيل، تساءلت اذا كان يستعمل الحاسوب او الآلة الكاتبة. شكرت نفسها لأنها عمدت الى نزع الستائر في الربيع الماضي، وحيث قامت بتنظيفها وغسلها، فما كان عليها الآن إلا ان تجلبها من الطابق العلوي لتعلقها من جديد و...
كان المكتب على وشك ان يستقر في المكان الذي

أرادته ساندرا. ما تحتاجه، دفعة صغيرة فقط لكن ذاك المكتب التعس رفض ان يتحرك، من شدة غيظها، ركلته بأعلى ساقها في محاولة أخيرة لتحريكه من مكانه.

سمعت نفسها تصرخ من الألم والحنق، انتبهت إلى انقطاع صوت الماء الجاري. لكن لم يخطر ببالها ان ريمون هرول نزولاً الى الطابق الأرضي إلا حين فتح الباب وسألها بقلق:«ساندرا! ماذا هناك؟ سمعت صراخك، هل أنت بخير؟»

احمرت وجنتاها وشعرت بجسدها يغلي، أدركت هول منظرها بسبب تشعث خصلات شعرها، التصاقها ببشرتها، سروالها الجينز الوسخ، وجهها الخالي من أي مسحوق تجميلي. استدارت لتواجهه وقالت باختصار:«إني بخير. لم أكن أعلم انك هنا. سوف أنظف نفسي ثم أحضر لك فطورك.»

اجابها ريمون ببرود:«إني لست طفلاً، كما تعلمين.» وتابع:«لم يكن هناك من داع لأن تنتظريني، إني قادر على تحضير كوب من القهوة والاكتفاء بوجبة سريعة. لكن ماذا تفعلين هنا بالتحديد؟»

سألته ساندرا بحدة:«أليس ذلك واضحاً؟» وشعرت بتشنج في ذراعيها، وكأنهما تحذرانها من أنها قد انهكت نفسها في محاولتها لإزاحة المكتب. «كنت اجهز الغرفة حتى يصبح بإمكانك الانتقال إليها واستعمالها لإنهاء ابحاثك. لكن هذا المكتب...»

عبس بها ريمون وسألها باقتضاب:«كنت تحاولين

إزاحة هذا؟» ثم تابع بحزم من دون ان ينتظر منها إجابة::«يا امرأة، هل جننت؟ ألم تلاحظي انه كان من السهل إصابتك بجروح؟ لماذا لم تنتظري حتى...»

شعرت بقلبها ينفطر، شعرت بكل ارتباك العالم، بكل ذلك القلق والألم اللذين اعتملا داخلها مؤخراً فثارت ثائرتها عليه وانفجرت بكل شقاء وتعاسة وسألته:«حتى ماذا؟ حتى تنزل حضرتك، لتحركه لي؟» ثم تابعت بعدوانية:«الواقع، لست بحاجة لأي شيء منك على الاطلاق، إني قادرة على تدبر أمري بنفسي.»

فكرت بسرعة بما كانت تقوله فتوقفت فجأة عن الكلام. كانت دقات قلبها تدق بسرعة ومن دون توقف. لقد بالغت كثيراً في رد فعلها. فلقد شعرت بنفسها ممزقة بين ذرف الدموع أو الصراخ. رغم أنها لم تكن تعي نفسها او بعض قلقها ويأسها في عينيها العاصفتين، ولم تكن تدرك ذلك.

وافقها بجفاف:«اجل، قادرة جداً.» لولا معرفتها به لكانت على وشك ان تعتقد بأن نبرة صوته حملت الكثير من الهزء والسخرية منها.

لكنه بدا وكأنه... وكأنه ماذا؟ كأن معرفته باستقلاليتها واعتمادها على نفسها تصادمت بقوة مع خوفه عليها وتوقه لحمايتها، وكأنها تصادمت مع أمور هو نفسه يجهل وجودها فيه حتى الآن.

هذا مضحك، لا بد وأنها تتخيل كل هذه الأمور. قالت لنفسها بحزن.

«في الحقيقة، ما كنت أحاول قوله، هو أنه يمكننا

معاً ان نحركه من دون ان يصاب احد منا بأذى.»
احمرت وجنتاها قليلا وكأنه تعبير عن اعتذارها. فهي لم تكن لتستطيع دفع نفسها لأن تتلقط بأي نوع من الاعتذار الكلامي. شعرت بإنها مازالت ضعيفة جدا، رقيقة جدا. كانت تدرك بوضوح كم كانت قريبة ليلة البارحة من ان تجعل نفسها تبدو كالبلهاء الصغيرة. لم تستطع مجرد التخيل كيف كان من الممكن ان تكون ردة فعله لو اتهمته بصراحة بأنه كان غير وفيّ لكاتي. هل كان سيضحك من تعليقها أم كان سيغضب. لقد كان ذكيا كفاية لأن يتغاضى عن الرأي الذي كونته عنه بعد ان اعتقدت انه متورط عاطفيا مع كاتي. لكنها شكت بأنه سيسر بهذا الرأي.
بدأت تقول مترددة:«لست متأكدة إذا كانت هذه الغرفة سوف تلائم...» وعبست عند استعراضها للغرفة والأماكن التي يمكنها ان تضع فيها الكتب، متسائلة بقلق أين باستطاعته وضع المعدات الالكترونية التي قد يحتاجها.
كانت النظرة التي ألقاها عليها تهكمية:«لقد عملت بنجاح في أماكن أكثر ضيقا من هذه. في الواقع إن هذه الغرفة مترفة حقا بالنسبة لي. السبب الوحيد الذي جعلني أغادر شقتي في لندن والعيش في إحدى الضواحي هو ضيق مساحتها. أما غرفتي في الجامعة فكانت مقبولة نسبيا. من حسن الحظ أنا لست ممن يرغب في جمع التحف والممتلكات، او بالأحرى لست بواحد مهم لغاية الآن. عندما بدأت

بمهنتي هذه عملت جاهداً، عشت، واستقريت في غرفة في بيت أختي كانت قد تكرمت بها عليّ هي وزوجها من دون ان يطلبا مني أي إيجار. وعندما انتقلت للعيش فيها اعتقدت أني سوف اتمتع فيها ببعض الخصوصية والعزلة، لكني اكتشفت وبعد ان قضيت عدة اشهر، اني أسمع بشكل مستمر، أصوات أقدام أبناء أختي على السلالم. إني افتقد لهم ولرفقتهم أكثر مما اعتقدت يوما أني سأفعل.»
عبست ساندرا به وتساءلت:لماذا كان يسر إليها بمثل هذه المشاعر الخاصة؟ ماذا كان يحاول إخبارها؟ إنه رجل لم يضع بعد جذورا له؟ حسنا إنها بطبيعة الحال تعرف ذلك، لكنها افترضت ان ذلك بناءً لاختياره الشخصي. الآن...
دفعت شعرها عن وجهها وسألته بفضول:«إذا كنت تشعر على هذا النحو، لماذا إذن لم...؟»
«لم اتزوج؟»
سجلت عيناها السؤال الذي كانت على وشك ان تطرحه، وكان لماذا لم ينتقل للعيش بقرب عائلته، لكنه لم يسمح لها بانهاء سؤالها وأساء بشكل واضح استنتاج ما تريد قوله. لم تكن ابدا لتسأله أو لأن تتدخل بأموره الشخصية.
«السبب الأساسي أني كنت بكل بساطة منشغلاً جداً وفقيراً جداً، أما في ما بعد... حسناً، اعتقد ان ما يقال صحيح، إنه مع تقدمنا في العمر، العجب لا يعود يعجبنا، ولا تعود الرغبات الحسية تشكل الدافع الأهم

للزواج بل يطلب المرء المزيد... يريد أكثر من ذلك بكثير. يريد شخصاً يكون حقيقة شريكاً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى. شقيقتاي كلتاهما تعيشان بسعادة عارمة في زواجهما. إنهما مغرمتان جداً بزوجيهما. أحسدهما على علاقتهما الزوجية وإني بالطبع لن أقبل بأقل من ذلك. لقد كانتا محظوظتين جداً وجاهدتا للحفاظ على زواجهما. لكن ماذا بشأنك؟ امرأة شابة وحيدة، مع ابنة صغيرة تعملين على تربيتها... لا بد وأنك قد مررت بفترات شعرت فيها بحاجتك للزواج. حتى ولو كان هدف ذلك فقط تأمين والد لكاتي.»

لقد كان صريحاً معها، مما جعلها عاجزة عن الكذب عليه.

«أجل، مرّت بي مثل هذه الفترات.» وافقت بصدق. وأردفت:«ولو أنه في حالتي... حسناً، لقد نعمت كاتي بجدٍ يحبها. لقد كان رجلاً مميزاً. لكنه كان متحفظاً جداً بعد الذي حدث لي مع والد كاتي...» عضت شفتها عاجزة عن متابعة حديثها، خافت من أن تكون قد قالت الكثير.

«أجل؟» حثها ريمون بنعومة على متابعة حديثها، محدقاً في وجهها.

«إنه.. حسناً...» توقفت قليلاً، تحاول ان تختار بعناية الكلمات التي ستجيبه بها وتضعه عند حده، لكنها عادت وبدّلت رأيها بسرعة. لماذا لا تقول له الحقيقة بكل بساطة؟ وعندما سيستنتج من حديثها كم هي بعيدة عن خبرات الحياة بالمقارنة مع خبرته، حتى ولو

كان قد ندم على الوعد الذي قدمه لها البارحة، كان سيغير رأيه بكل تأكيد.

«لو أنه لم يقل ذلك ابداً، إلا ان والدي كان قلقاً من أن... من ان يعيد التاريخ نفسه.»

قطب جبينه بشكل واضح وارتسمت على وجهه علامة استفهام، مما دفعها لأن تصر على اسنانها وتوضح له بيأس:«كان مقتنعاً بأن ما حدث يوم حملت بكاتي وأنه... مجرد حادث عرضي، لكنه كان متحفظاً جداً. والخطأ الذي ارتكبته سبب له صدمة عنيفة. أعتقد أنه شعر بأن ما حدث... قد يحصل مجدداً. وإني قد أكرر...»

«إنك قد تكررين ماذا؟»

أجابته ساندرا بصوت أجش:«إني قد أعاود الكرّة وأنجب طفلاً آخر. وإني قد أكرر الخطأ الذي وقعت فيه مع جيمي، وأصبح حاملاً من جديد، من دون ان اتزوج.»

ساد بينهما صمت طويل قبل ان يقطعه ريمون، ويسألها بتعجب:«لكنك لم تكوني قد تجاوزت السادسة عشرة من عمرك، عندما حملت بكاتي. وجيمي لم يكن أكبر منك إلا بسنة واحدة، كما أعرف. كنتما طفلين كلاكما، والذي حصل كان يجب ان يكون دافعاً لنضوجك، لتحقيق طموحك، فقد أحسنت التأقلم مع تلك الوضعية المأساوية.»

«لقد تلقيت المساعدة من والدي.. فلقد كان رائعاً. لقد وقف الى جانبنا أنا وكاتي، دعمنا مادياً. أمن لنا

منزلاً يحمينا.»

سألها ريمون بعبوس:«كما اجبرك على نمط عيش، كراهية؟»

عضت ساندرا على شفتها في محاولة دفاعية:«فعل ما اعتقده الافضل لنا. وأستطيع ان اتفهم وجهة نظره...»

«وأنت لم ترغبي ولو لمرة واحدة في كسر قضبان ذلك السجن الذي سجنك فيه طويلا؟ ألم ترغبي ولو لمرة واحدة في أن...»

سألته ساندرا بصوت أجش:«لم أرغب بماذا؟» جرحت مشاعرها نبرة الغضب التي اعترت صوته:«أن انخرط ببعض العلاقات الحميمة؟ لا. لم ارغب ابدا في القيام بذلك. والآن اعذرني، من الافضل ان أذهب لأحضر لك الفطور.» اضافت باقتضاب كي تغير الموضوع:«يجب ان أذهب الى السوق اليوم، بعد ان إنتهي من ترتيب هذه الغرفة. هل ستستعمل كومبيوترا أو آلة كاتبة أو أي شيء من هذا القبيل؟»

«أجل. يمكنك ان تدعيني أهتم بترتيب الأمور المتبقية. إني أعرف حقا كيفية استعمال منفضة الغبار ومسحوق التنظيف.»

عندما مرت بجانبه بدا لها وكأنه يريد ان يمسكها، يقف ما بينها وبين الباب ويسد عليها الطريق، لكن ما ان وقفت أمامه وحملقت به، تجمّد فورا وقال لها ببساطة:«ليس عليك ان تزعجي نفسك من أجلي، تعلمين ذلك.»

وافقته باقتضاب وتابعت:«لا حاجة لي على الاطلاق. كما لا انوي القيام بذلك.»

كانت غاضبة منه وتعاقبه على ما ارتكبته هي من حماقات، لأنه وبطريقة ما دفعها لأن تكشف أوراقها أمامه، دفعها للوثوق به والاعتراف له بأمور لم تعترف بها لأحد من قبل.

كان عليها بالاحرى ان تعاقب نفسها على تهورها لا أن تعاقبه هو، همست لنفسها وهي في طريقها الى المطبخ. ليس الذنب ذنبه إذا كان صريحا جدا... من السهل جدا الوثوق به.

كيف ينظر إليها الآن بعد كل تلك الحماقات التي تفوهت بها؟ تساءلت ساندرا بحنق:كيف ينظر الى حياتها الموحشة المنعزلة منذ ان حملت بكاتي. لم يكن لديها أي أجوبة على هذه الاسئلة. من المحتمل انه يشعر بالشفقة عليها.

من المحتمل انه الآن يشكر حسن حظه لأنه عَلم الحقيقة قبل فوات الأوان. الآن، ليس لديها أدنى شك في أنه قد لا يفي بالوعد الذي قطعه لها.

إذاً. لِمَ شعرت فيما هي تحضر القهوة، برغبتها في البكاء بدلا من شعورها بالراحة؟

الفصل السادس

«لم أرك منذ زمن بعيد، كنت مشغولة، أليس كذلك؟»
صرت ساندرا على اسنانها وارتسمت على شفتيها ابتسامة مصطنعة ومقتضبة عندما التفتت ورأت شيلا سمبسون تحدق بفضول الى عربة المشتريات المليئة بالحاجيات التي اشترتها.
من بين كل الاشخاص المحتمل دخولهم الى السوبر ماركت ومقابلتهم، شيلا كانت آخر واحدة تتمنى ان تلتقيها. كانت شيلا المرأة الأكثر ثرثرة في المنطقة كلها، امرأة حادة متسلطة في الاربعين من عمرها، تدير حياة عائلتها المتكاملة ظاهريا، وحياة زوجها بيد من فولاذ. وكانت بالتالي تحتقر وتستهزىء بحدة وعلنية بمن لا يوافقها ويقتنع بمعاييرها المتبعة.
كانت ساندرا دائما على علم بنوايا شيلا وشكوكها العميقة بها، السبب الأول كونها مازالت عزباء وتعيش بمفردها، أما السبب الظاهري الثاني فهو لأن ساندرا تبدو صغيرة جدا لكي يكون لها ابنة بعمر كاتي.
سألتها بلهجة لا ينم عنها إلا صداقة مزيفة:«هل تنتظرين زوارا؟» ورمقت عربة ساندرا المليئة بالأغراض.
اجابتها ساندرا ببرود:«ليس تماما.»
مازحتها شيلا:«آه، لا بد وأنك قد بدأت مبكرة بالتسوق للعيد، كما اعتقد.» ثم اضافت:«طبعا سوف تستقبلين كاتي في البيت على العيد، أليس كذلك؟»

من بين عادات شيلا المتكلفة الكثيرة، كما أخبرت الجميع بخبث، أنها ترفض ان تنادي الأشخاص بأسمائهم المصغرة الأصلية، ساندرا لم تزعج نفسها قط بإخبارها بأن كاتي هو اسم ابنتها الأصلي. واسمها بالكامل هو كاتي جورجينا اسم جورجينا نسبة لإسم والدها حيث أن اسم عائلة جيمي كان جورج.
دفعت ساندرا بعربتها ومرت امام شيلا من دون ان تلقي عليها أي نظرة، إيجابية كانت أم سلبية، ردا على سؤالها الغريب. في واقع الأمر ان ساندرا شعرت بالذنب كونها خبأت الحقيقة عن شيلا والأسخف من ذلك انها كانت تعلم جيدا كم هذه المرأة فضولية، وكيف ستثرثر لو علمت الحقيقة.
إنها في السادسة والثلاثين من عمرها، وإذا اختارت أن تدعو أحد الاشخاص للمكوث معها لفترة قصيرة من الوقت فلن يكون من شأن احد التدخل فيه. هذا شأنها وحدها.
فضلا عن ذلك، تستطيع ان تتصور كيف ان شيلا سوف تضخم الحقيقة وتصقلها، كيف ستبلغ الجميع، وتعلن الخبر بعد ان تضيف إليه بعض التعليقات الحارة في حين أنها تعرف حق المعرفة وبشكل مؤذ أنه ليس هناك ما يدعو لهذه التعليقات كما ان العلاقة التي تربطهما بريئة كليا.
سمعت ساندرا سابقا عن أعمال شيلا. كانت متخصصة في افتعال المتاعب.

لكن ما الذي يهمها لو ان الناس تناولوها بثرثراتهم؟ سألت نفسها لاحقا وهي في سيارتها في طريق العودة. والدها قد مات وبالتالي لن تجرحه مثل هذه الثرثرات. كاتي كانت متفتحة جدا وفتية جدا مما قد يدفعها لأن تقابل بالضحك والاستهزاء مثل هذه الإيماءات التي تربط أمها بعلاقة حميمة مع احدهم، أما بالنسبة لمشاعرها الخاصة، فهي بالطبع تهتم بأصدقائها الحقيقيين، ولتفكيرهم بها، فهم ادرى الناس بها وبأخلاقها وطبعها مما يخولهم الحكم على ثرثرات شيلا. وبالإضافة الى ذلك، لطالما دفعوها أكثر من مرة لأن تخرج من عزلتها وتمتع نفسها، حتى أن إحداهن قالت لها مرة بشكل فظ:«أخرجي وجدي لك رجلا، واستفيدي مما اغدقته عليك الطبيعة من جمال قبل فوات الأوان.»

مع ذلك، من يعرف؟ ربما كانوا على حق، وهي التي على خطأ، لربما عاشت طويلا مع والدها حتى انها تبنت تفكيره وجهة نظره من دون ان تدري.

العديد من صديقاتها المطلقات وغير المتزوجات غرقن بسعادة بالعديد من العلاقات ولم يشعرن ابدا بالخجل أو بالإحراج من القيام بذلك، ولمَ عليهن الشعور بذلك؟ لقد كن كما كانت هي. وحيدات ويعتمدن على أنفسهن. أسلوب حياتها كان غير طبيعي إذا ما قورن بأسلوب حياة امرأة جميلة وقادرة في مثل عمرها. ربما لو كانت أكبر سنا عندما حملت بكاتي، ربما لو ان تجربتها مع جيمي كانت تختلف، لما كان عليها

ان تخضع بمثل هذه السهولة لرغبات والدها، او ان تكبح رغباتها الخاصة حتى قبل ولادة كاتي او ان تتحكم بقسوة بكل نبض للتعبير عن رغباتها التي اختبرتها مع جيمي، لدرجة اصبحت تلك طبيعة ثانية لها، أصبحت شيئا قامت به من دون ان تتساءل إذا كان عليها ذلك ام لا.

ربما، على الأقل، هذا ما فعلته في السنوات التي مرت منذ موت والدها. لم تكن حذرة جدا في مراقبة نفسها، لأنها اعتقدت وبسخافة، بأن في ذلك العمر لا بد وأن تكون تخطت تلك الرغبات الحادة، والوحدة التي طالما نغصت عليها عيشتها في العشرينات. أو لأنها نشأت وحيدة ولم تلق العناية والحنان الكافيين خلال حياتها. لم يكن لديها أدنى فكرة عن أي من نقاط ضعفها هذه هي وراء رد فعلها وتجاوبها مع ريمون.

عندما عادت الى المنزل، لم تكن سيارة الجاغوار متوقفة مكانها أمام الباب. حدقت الى المكان الخالي وبدأ قلبها بالخفقان. لربما غير ريمون رأيه ورحل، حتى من دون إخبارها! ماذا لو رحل؟ ألا يكون ذلك افضل لها؟

كل الوقت الذي استغرقه عبورها الممر الصغير وأثناء محاولتها فتح الباب الخلفي، كانت تحدث نفسها عن شعورها بالراحة لو أنه رحل... إن عمله هذا سيكون العمل الأكثر عقلانية، إنها لا تنزعج، ولو قليلا، من ذهابه... ولكن، وبعد ان فتحت باب المطبخ ودلفت الى الداخل ورأت تلك الورقة الصغيرة التي تركها

لها على الطاولة، شعرت بارتجاف يديها وهي تحاول لمسها، القت نظرة سريعة عليها وشعرت بجفاف حلقها وتقلص معدتها.

«ذهبت الى تشستر لأرى إذا كان باستطاعتي الحصول على بعض المراجع التي احتاجها من المكتبة.»

بعد ان قرأت الورقة، شعرت بدوار بسيط في رأسها وبضعف في ساقيها. سحبت كرسيا وجلست عليه واعترفت لنفسها بأن ما خبرته منذ لحظات لا يمكن ان يكون شعورا بالراحة. طبعا ليس كذلك، وهي طيلة الوقت الذي صرفته في توضيب الحاجيات التي اشترتها كانت تحاول استراق السمع لأي هدير صادر عن سيارته، ولسماع وقع قدميه، ولسماع صوته.

عندما انتهت من عملها كان مايزال غائبا، وما ان انفكت تراوح في المطبخ، غير قادرة على القيام بأي عمل.

فقدت صبرها وصرخت:أنت امرأة في السادسة والثلاثين من عمرك وتتصرفين كفتاة في السادسة عشرة. أي كان، قد يعتقد انك قد وقعت في حب هذا الرجل. تجمدت في مكانها وارتجفت قليلا.

ما اسخف تفكيرها. طبعا لم تقع في حبه، لقد كانت كبيرة جدا لتقترف مثل هذه الحماقات. عقلانية جدا، امرأة في مثل عمرها لا تقع في الحب ابدا. وفضلا عن ذلك، فهي ما كادت تعرفه.

ما لبثت ان وجدت نفسها تفضي إليه بأسرار كثيرة لم تخبرها حتى لأقرب صديقاتها.

هذه الحقيقة التي ارتسمت أمامها كانت بمثابة من يضع يده على جرح أليم حاد، كانت شيئا تنجذب إليه أفكارها مهما حاولت ان تتغافل عنه.

نهرت نفسها بنبرة جافة:انت تعرفين ماذا تفعلين، أليس كذلك؟ وأنت في طريقك للوقوع في حبه. أيتها المرأة الغبية.

دخلت الى غرفة المكتب، مصممة على ان تنهي عملها. فمثل هذه الأفكار لا يتغلب عليها ويخفيها إلا عمل جسدي مرهق. لكن عندما عمدت الى فتح باب الغرفة وخطت خطوة داخلها تجمدت في مكانها بذهول.

وجدت ان كل شيء في الغرفة، نظيفا، يلمع. لاحظت زجاج النافذة والسجادة الصغيرة اضفيا إشراقا عليها، وقطع الأثاث اصبحت، كلها في مكانها. النار تشتعل في المدفأة القديمة ولمعان سلة الحطب النحاسية يبهر العيون. وضع على طاولة المكتب القديمة جهاز كومبيوتر متكامل.

الشيء الوحيد الذي كان ينقص الآن، هو الستائر النظيفة لكن، حتى من دونها كانت الغرفة تبدو جميلة أنيقة، على الرغم من أثاثها القديم.

من المؤكد، ان ريمون لم يبالغ حين ذكر قدرته على استعمال مساحيق التنظيف ومنفضة الغبار، ولكن ساندرا ولسبب ما بدلا من ان تشعر بالراحة لأنها تخلصت من مهمتها الشاقة في ترتيب الغرفة، شعرت بقليل من الحزن يغمرها. وحتى أنها شعرت بما يشبه الاستياء لأن ريمون ما قام بتنظيف الغرفة بنفسه،

إلا ليفهمها بطريقة رقيقة وغير فظة بأن لا حاجة له بمساعدتها وأنه يستطيع كليا الاعتماد على نفسه وأن ليس لها مكان في حياته.

لكنها تريد مكانا لها في حياته. لا تريد بأي شكل من الاشكال ان تتورط مع رجل، وفي حين يستطيع منحها احساسا قصيرا بالمتعة لا يستطيع ابدا اشباع أعمق حاجاتها العاطفية وأهمها، لا يستطيع ابدا منحها علاقة الصداقة او الاستقرار العاطفي، الحب الذي طالما انكرته على نفسها، الذي أرادته، لكن في الواقع...

كفي عن ذلك حالاً، حذرت نفسها. مثل هذه الافكار لا تقود إلا في إتجاه واحد، الى طريق الألم والحزن، إلى شعور بالعذاب الذي لن تصل من خلاله الى شيء.

كانت مقتنعة بأسلوب حياتها، حسنا، مقتنعة عقليا... مقتنعة بأنها تنعم بحياة هانئة لا تنعم بها أي امرأة في مثل عمرها. عندما تفكر، كم من صديقاتها، كم من النساء اللواتي تعرفهن، هن حقا سعيدات في حياتهن الزوجية، كما توقعن أن يكن عندما أقدمن على هذه الخطوة؟ ليس العديد فهي، وفي حين كانت احيانا تحسدهن على أزواجهن، كانت تجد نفسها تستمع لشكواهن وإحباطهن، وتفكر بأنها لربما، هي أكثر حظا منهن.

العلاقة التي طالما حلمت بها وتاقت إليها كانت وهمية ومن نسيج خيالها، ليس لها وجود... ولا يمكنها ان تتحقق. لا يوجد أي شيء يستطيع ابدا الوصول الى

تحقيق عواطفه ورغباته الشخصية فوراً وكما يريد، فقط الاغبياء هم من يعتقدون أنه في امكانهم القيام بذلك.

لكن بعضاً من صديقاتها يتمتعن فعلاً بالسعادة، ويشعرن حقا بالاكتفاء ويعرفن بسرور أنه عندما دخل زواجهن عتبة النضوج دخلن في علاقة جديدة مع أزواجهن مختلفة جدا عما تصورنه في البداية. هذه العلاقة كانت علاقات حسنة، أزواجهن كانوا رجالا من الممكن الاعجاب بهم، او حتى الوقوع في حبهم، على الرغم من الفروقات التي قد يكتشفنها او خيبات الأمل التي قد يشعرن بها.

استدارت من دون وعي نحو النافذة. هل كانت حقاً مقتنعة بإمضاء بقية حياتها وحيدة؟ كاتي، عليها ان تعيش حياتها الشخصية، وهي لن ترغب مطلقا في ان تقيد ابنتها بها حتى ولو كان ذلك ممكنا.

إذا ما هي الخيارات الأخرى التي لديها؟ علاقة متينة، آمنة مع أحد الرجال الذين سبق لها ان تعرفت عليهم، مر في خاطرها اثنان او ثلاثة من معارفها. كانوا قد اسروا لها بصراحة بأنهم يطمحون الى اكثر من مجرد بناء صداقة معها. فقد كانوا أحرارا ويتوقون الى الالتزام بارتباط معها.

كانت تراوح في الغرفة من دون توقف، المشكلة كانت أنها قد اعجبت بكل من هؤلاء الرجال الثلاثة لكنها حقيقة لم ترغب بأي منهم... لم تشعر بأي رغبة حيالهم... لم تكن تستطيع التخيل أنه قد يربطها

بأحدهم تلك العلاقة الحميمة الخاصة، التي من الممكن ان تنشأ بعد الزواج.

إذا، ما الذي يتبقى لها؟ ان تبني علاقة... او عدة علاقات... لا، هذا النوع من العلاقات لم يعجبها قط. ومع أنها كانت تستمع بفضول، وأحياناً بعدم تصديق، لأخبار أكثر صديقاتها انحلالا في وصفهن لعلاقاتهن. كانت كلما سمعت المزيد، تشعر بالأسى لجهلها اموراً كثيرة، لمعرفتها انها بمقياس السنين قد اصبحت امرأة ناضجة ولكن بمقياس الخبرة لم تكن إلا مراهقة جاهلة لم تتجاوز السادسة عشرة.

ادركت أنها، مهما سمعت عن تجارب الآخرين وميزاتهم، لن تعوض النقص في خبراتها وتجاربها. أي رجل يريد ان يصطحبها، قد يفترض تلقائيا ان لديها المعرفة الكاملة والخبرة وخاصة المسنين منهم، كما أخبرتها صديقاتها، الذين هم أنانيون ومتطلبون جداً.

لم تعلم ساندرا لماذا لم ترغب مطلقاً، حتى ولو لمرة واحدة، بأن تتورط مع شبان أصغر منها سنا. ربما لأنها تنقصها الثقة بالنفس.

لا، ما ارادته... ما أرادته حقاً هو ريمون.

زحفت الفكرة الى رأسها كالأفعى، مما جعلها ترتجف فجأة وتلف ذراعيها حول جسمها، وكأنها تحاول بذلك السيطرة على ألمها الداخلي، فمع ادراكها، بأنها لا تفكر إلا بريمون، اغمضت عينيها لتستعيد ذلك الشعور الذي اعتراها عندما عانقها ريمون لأول

مرة، حيث شعرت فوراً أنها تتوق إليه. أنها تريده. قالت لنفسها:هذا ليس حبا، بل هذه نزوة. ولعل افضل ما عليها ان تفعله هو ان ترافق هذا الرجل الى النهاية حتى تفرغ ما تكتنزه في داخلها.

ترافقه الى النهاية. بدأت ترتجف وشعرت بارتعاش داخلي، من جراء قوة تلك المشاعر التي اجتاحتها، مدركة خطورة تلك الأفكار الواهمة التي تعتمل في داخلها، مؤكدة لنفسها في كل مرة أنها طبعاً لن تقوم ابدا بمثل هذا العمل.

العلاقات العاطفية الموقتة ليست من طبيعتها. كانت متأكدة من ذلك. وإلى جانب ذلك... ربما الآن ليس لريمون نفسه رغبة. إذا لم يصدمه تصرفها البارحة معه، فان الاعترافات السخيفة التي أدلت بها هذا الصباح، تلك التي من خلالها ألقت الضوء على مدى تحفظها، بهذه المهمة!

أجل، إنها الآن آمنة كفاية من الضغوط العاطفية التي قد يقوم بها ريمون. لكنها تساءلت:هل هي في مأمن من نفسها او ان قدرتها على ضبط النفس والتعقل أخذت بالتآكل؟

إذا كان الامر كذلك... تنشقت نفساً عميقاً، فليس عليها الآن إلا ان تحتفظ بمسافة كافية تفصل ما بينها وبين ريمون، كما يجب ان تبدأ بذلك.

قد لا يكون لديها أي عمل في المكتب، لكن مازالت غرفة والدها تنتظرها حيث كان عليها توضيب السرير والحمام الخاص بالغرفة وملء الخزائن بالمناشف.

قد ينتقل ريمون إليها الليلة، حيث يصبح بإمكانه التمتع ببعض الخصوصية، وذلك بمكوثه في الجهة المقابلة من المنزل. أي بعيداً عنها. سوف يكون له حمامه الخاص. وبالتالي لن تكون مجبرة بعد اليوم لأن تدخل حمام بيتها الرئيسي لتجد أريج عطره مازال عابقاً فيه... وتصبح بعد ذلك مضطرة لتحمّل التفكير اللاعقلاني والحسي به.

كفى، عنفت نفسها وهي متوجهة الى الطابق العلوي، كفى.

كانت الساعة تشير الى السادسة والنصف، اعتقدت ان ريمون، وكنتيجة لرفضها له وجرحها لشعوره لن يعود الى المنزل قبل العشاء، حتى سمعت محرك سيارته يتوقف أمام المنزل.

لم تكن قد غيرت بعد سروالها المتسخ الذي ارتدته منذ الصباح الباكر ومع أنها كانت تضع لمسة خفيفة من المكياج إلا انه لم يكن إلا مكياجها الصباحي الذي طالما اعتادت على وضعه. لكن ليس هناك من سبب على الاطلاق يدفعها لأن تبذل جهداً إضافياً لتبدو جذابة بالنسبة لريمون. ليس هناك من سبب على الاطلاق لذلك، لكنها وقبل ان تتوجه الى الطابق الارضي ألقت نظرة ناقدة على نفسها في مرآة غرفتها. فكرت بحزن بأنها لا بد وان تكون في أمان تام من ريمون، وأنه لا يوجد رجل على الاطلاق يتمتع بذوق رفيع، يعجب بامرأة لا تتجاوز قامتها الخمس أقدام ترتدي سروال جينز قديما وبلوزة فضفاضة ضخمة وشعر مشعث

بخصلات غير مرتبة. لكن ما لم تستطع ان تراه وما كان واضحاً وجلياً للغير هو بشرتها النضرة المشرقة ووجهها الفتي وجسدها الشاب، خصلات شعرها الحريرية الناعمة، والنداء الذي يطلقه القسم الأعلى من جسدها الأهيف وسروالها الضيق الأنيق.

لا، لا يوجد شيء على الاطلاق في مظهرها قد يدفع ريمون للاعتقاد بأنها قد غيرت رأيها، قررت ذلك بحزم وهي متوجهة الى الطابق الأرضي.

عندما وصلت الى المطبخ، كان ريمون واقفاً، ينظر إليها وفي عينيه تعبير غامض لم تستطع فهمه.

اعتقدت أن ما رأته لم يكن إلا نظرة تسلية يحيطها بها وبالتالي لم تستطع اخفاء تعجبها عندما علق برقة:«هل تعلمين، لقد نسيت كم هو ممتع ان نجد شخصاً ما ينتظرنا عند عودتنا. لا تشعرين بهذه المتعة فعلياً إلا إذا اخترت العيش وحيدة.» توقف قليلاً وقبل ان تستطيع جمع أفكارها للتلفظ بأي كلمة تابع مفكراً:«لا بد أنك تفتقدين والدك، وكاتي.»

هل كان يشفق عليها؟ كامرأة وحيدة تعيش بمفردها؟ نظرت إليه، محاولة الدفاع عن نفسها، لكنها لم تر في عينيه أي أثر للشفقة او السخرية، فما كان منها إلا ان اعترفت بصوت أجش:«في الواقع، إني افتقدهما.»

«مازلت شابة جداً ويمكنك ان تتزوجي. وتنجبي المزيد من الأطفال...»

فتحت فاها اندهاشاً، واعترضت قائلة، غير قادرة على اخفاء دهشتها:«إني في السادسة والثلاثين.»

«وماذا يعني ذلك؟ في أيامنا هذه يوجد نساء انجبن طفلهن الأول في الاربعين، نساء امضين الفترة الاولى من حياتهن غارقات في أعمالهن، لكنهن اكتشفن ان المهنة ليست بكافية، وأنهن بحاجة لعائلة. او أنك لا تريدين المزيد من الاطفال؟» ثم اضاف بغرابة:«استطيع ان أفهم السبب الذي قد يمنعك من اتخاذ زوج لك. لكن انجاب اطفال...»

أطفال... لم تفكر ابداً بهذا الموضوع على الاقل... حسناً أجل، فكرت بهذا الأمر عندما كانت كاتي فتاة صغيرة، لكن ما انت بلغت كاتي سن المراهقة... والآن... حسناً، لم تفكر إلا بالأحفاد الذين قد تنجبهم كاتي يوماً ما.

همست قائلة:«أنا... انا لم أفكر مطلقاً بهذا الموضوع.»

أشاحت وجهها وأردفت:«بالتأكيد لا أشعر بأي حاجة لأن انجب طفلاً آخر ليعيش بدوره من دون والد. لقد حالفني الحظ عندما انجبت كاتي. لم تلمني ابداً، لأنها نشأت من دون ان تتعرف الى جيمي. كما ان عائلة جيمي طالما رحبت بها وأحبتها.»

«هل أحببته كثيراً؟»

أجفلها سؤاله. لم تكن معتادة على سماع هذا النمط من الاسئلة. صورة جيمي أمامها الآن. كانت مبهمة آتية من الماضي البعيد، وبالتالي شعرت بصعوبة في تذكر ما كانت تشعر به حيال جيمي، لكنها كانت متأكدة من أنه لم يكن حباً يتبادله امرأة ورجل، وكيف يمكن ان يكون في حين أنهما لم يكونا إلا فتيين.

أجابت بصراحة:«لقد كان صديقي. لقد كنت فتاة مراهقة عاطفية، ربما حدث ذلك لأني عشت وحيدة... لقد كان جيمي شخصاً مميزاً كفرد. لكن لا، لم أحبه... كرجل.»

قالت أكثر بكثير مما نوت ان تقول، اظهرت اكثر مما أرادت إظهاره وما ان استدارت ولاحظت نظرة الشفقة القائمة في عينيه حتى عضت شفتها بغضب وقالت فجأة:«لقد حدث هذا منذ زمن بعيد وما يكاد يهمني الآن. لقد نظفت غرفة والدي لكي تتمكن من ا ستعمالها. يوجد غرفة حمام ملحقة بها. إلا أني لم أحضر شيئاً على العشاء. لم أكن متأكدة من أنك ستعود باكراً.»

طيلة الوقت الذي استغرقته في كلامها وثرثرتها، كانت مدركة بأن ريمون يراقبها ويتفحصها... كما كان يجب ان يفعل، فكرت بخوف. من دون شك، طالما هو معني بالأمر، كانت بالنسبة اليه مجرد امرأة غريبة فريدة من نوعها، امرأة ذات تجربة واحدة قادتها الى إنجاب طفلة، امرأة لم تسمح لنفسها ابداً بأن تعي انوثتها كأي امرأة عادية اخرى. آه، أجل. يجب ان يراقبها بهذه النظرة المتأملة المتفرسة التي جعلتها تشعر بالانقباض... والضعف.

«اعتقدت انه يمكننا تناول طعام العشاء خارجاً. أواجه مشكلة صغيرة في عملي، فأبحاثي التي أقوم بها اتضح أنها تتطلب الكثير من المعلومات والتفاصيل، مما يدفعني للتفكير بأن اختصر من التفاصيل التي

تتعلق بحياة هوغو في هذا الكتاب، ثم متابعتها في كتاب آخر. أحتاج لشخص يستمع إلي بينما أكلم نفسي وأحاول حل هذه المشكلة، وكنت اتساءل بأنانية، اعرف ذلك، إذا كان يمكنك في مقابل تناولنا العشاء ان تكوني مستعدة لأن تعيرنني، أذنا صاغية.»

«انا! لكني لا استطيع نصحك بأي شيء. لا اعرف أدنى شيء عن كتابة الكتب. بالطبع معلنوك وناشرو كتبك...»

قال بهدوء:«رأي آخر طبعاً له قيمة إضافية، حتى لو لم يساعد إلا في توضيح افكارك الخاصة، وإلى جانب ذلك، أنت قلت انك تحبين قراءة المزيد عن هوغو. انت بطبيعة الحال الآن، تعرفين الشخصية، فلا تقللي من قيمة آرائك. لا تظلمي نفسك كثيراً.» أضاف ببرود:«إذا كنت غير مستعدة لتقييم قدراتك، فعلى الأقل دعي الآخرين يقومون بذلك.»

صعقها تعليقه ووجدت نفسها غير قادرة على الإجابة.

تابع ريمون:«لكني لم احجز في أي مكان، إذ لم أكن متأكدا من انك ستكونين حرة هذا المساء، او أنك قد تودين المساعدة.»

بعد ان صاغ دعوته بهذا الأسلوب كيف بإمكانها الرفض او الادعاء بأنها مرتبطة مع أناس آخرين؟

اجابته:«سيكون علي تبديل ملابسي.»

«حسنا... وأنا ايضا. هل هناك مكان محدد تودين الذهاب إليه؟»

«هناك مطعم إيطالي في نتسفورد، لا اعرف إذا كنت من محبذي الطعام الايطالي.»

أكد لها قائلا:«طبعا. هل تعرفين أسمه؟ استطيع ان اخابرهم لأحجز لنا طاولة.»

شعرت وكأنها فجأة فقدت السيطرة على حياتها الخاصة فأعطته الإسم قبل ان تتوجه الى غرفتها.

مضت قرابة نصف الساعة وهي واقفة أمام المرآة تتأمل نفسها عابسة وفي فستانها الصوفي الأحمر الذي أصرت كاتي على شرائها له الشتاء الماضي. والذي كان من بين الفساتين المميزة القليلة التي تملأ خزانة ثيابها. تساءلت ماذا كانت تفعل.

لقد أوضح لها ريمون تماما لماذا أراد مرافقتها ولم تشك ولو للحظة واحدة بأنه كان يقول الحقيقة، لكن ماذا بشأنها... ماذا بشأن دوافعها هي؟ هل كانت حقا متأكدة من أنها قد استأصلت من نفسها كل تلك الأفكار المتمردة العنيدة التي طالما هاجمتها لحظة وقوع نظرها عليه؟

اجل بالتأكيد قد فعلت! بالتأكيد قد فعلت.

كان المطعم مريحا جدا تديره عائلة ايطالية كبيرة. عرفوا ساندرا بمجرد دخولها وريمون باب المطعم. على الرغم من انها لم تأكل فيه إلا في مناسبات معدودة.

كان المالك رجلاً إيطالياً جداً في سماته، ولطيف، هرول إليها مرحبا ثم ما لبث ان هتف قائلا:«آه، وأخيرا رأينا زوج أجمل سيدة تتناول العشاء عندنا. وهي

التي تأتي دائماً مع صديقاتها. طالما قلت لامرأتي ان هذه السيدة جميلة جداً لأن تكون وحيدة من دون زوج. كل زبائني الرجال، طالما ذهلوا وانصرفوا عن تناول عشائهم مأخوذين بجمالها.»

شعرت ساندرا بأن لونها قد أصبح قرمزياً، لكن ما ان فتحت فاها لتعترض وتصحح له سوء فهمه حتى ضغط ريمون على كتفيها بخفة.

عندما استدارت، هز رأسه قليلاً وهمس حيث لا أحد غيرها يستطيع سماعه:«لم أكن لأنزعج لو كنت مكانك، إن اعتراضك سيدخلك في المزيد من الارتباك، إلا إذا أردت بالطبع ان تناقشي تعصبه والإشارة إلى أنه لا يوجد امرأة في هذه الأيام بحاجة لرجل لتشعر ان حياتها كاملة.»

هزت ساندرا رأسها نفياً، وهي تتبع ذلك الرجل ذا السمات الإيطالية الوقحة الى مائدة صغيرة موضوعة في إحدى زوايا المطعم المتفردة، مضاءة بشكل رومنطيقي بحيث ان نوراً خفيفاً انبعث من الشمعدان الموجود على الطاولة.

قالت لريمون بتعجب بعد ان سجلا طلبهما:«حتى أني لا اضع خاتم زواج.»

اجابها ريمون بعد ان عبس قليلاً إذ رأى أحدهم متوجهاً نحوها:«يجب ألا تدعي ذلك يقلقك.»

استدارت ساندرا لترى ما الذي سبب عبوسه.

رجل في الخمسينات من عمره، يصطحب فتاة لا يمكن ان تكون أكبر من كاتي جلسا الى طاولة لا تبعد

عنهما إلا عدة أقدام وكان من الواضح ان علاقتهما ليست علاقة أب بابنته.

علق ريمون بسرعة:«حسناً، هذا أمر بشع جداً.» في حين استدار نحوها، وأضاف:«ولا شك انك لو سألت احدهما لأجابك بأن مسألة العمر ثانوية وأن احدهما يحب الآخر، لكن في بعض الأحيان اعذار كهذه تفشل في الإقناع.»

دعمت نبرة الاحتقار في صوته كلماته مما جعل ساندرا تحملق به مندهشة.

سألها وهو يراقب رد فعلها:«ألا توافقين على ذلك؟»

استطاعت القول بصعوبة:«أجل... أجل، في الواقع إني اوافقك الرأي.» بعد ان تخطت دهشتها أردفت:«إلا أنه من الغريب جداً ان أسمع رجلاً يدلي بمثل هذا الرأي عن امرأة، أجل لكن الرجال يبدون، وكأنهم يصابون بعمى مطلق عندما يتعلق الأمر بغرورهم. اسأل أي رجل قد تجاوز الأربعين من عمره إذا كان بإمكان فتاة في الثامنة عشرة او في العشرين من عمرها أن تقع في حب رجل قد تجاوز الخمسين وذلك لأجله فقط، وليس من أجل ممتلكاته، سيجيبك فوراً بالإيجاب، نافياً أي حجة مقنعة قد تواجهه بها لإثبات العكس.»

ساد صمت قصير عندما اتى النادل لتقديم الوجبة الأساسية، وبعد ذهابه اقترب ريمون منها ليهمس في أذنها بهدوء:«ليس لديك آراء حسنة عن الرجال، يا ساندرا، أليس كذلك؟ في الواقع لسنا كلنا عمياناً، وليس العديد منا من يتمتع بذات ضعيفة. ليحاول

الحفاظ على تماسكها عن طريق شراء دمية صغيرة جميلة يعرضها على اصدقائه.»
وافقته ساندرا:«لا، اعرف ذلك. لهذا كنت منزعجة جداً عندما اعتقدت انك وكاتي...»
توقفت فجأة آه، ماذا كانت على وشك القول؟ لكن الآوان فات... إذ أنه بعد نظرة حادة ألقاها ريمون عليها، كان يسألها بإصرار:«إني انا وكاتي ماذا، يا ساندرا؟»
بحثت بيأس بين أفكارها عن أي شيء تقوله وينقذها من هذه الورطة، لكنها لم تستطع إيجاد أي شيء وخصوصاً أن صبر ريمون كاد ان ينفد. استطاعت ان تشعر بثقل هذه اللحظات الصامتة التي جاءت بعد طلبه للإجابة على سؤاله. لم يكن هناك من مفر.
حتى ولو أنها استطاعت التوصل الى مخرج ما، كانت تعرف بأنه ليس لديها الثقة الكافية بالنفس لتجعلها تجهر به وتصل بالتالي الى اقناعه.
«لقد اعتقدت... لقد فكرت... حسناً، كاتي لم...»
رد ريمون محاولاً قطع محاولاتها المحرجة للاعتراف كيف أنها اساءت الحكم عليه:«اعتقدت أني وكاتي حبيبين.»
«حسناً، أجل... أجل لقد اعتقدت ذلك، لكن ذلك كان فقط سببا... حسناً...» تذكرت في الوقت المناسب أنه من المفترض ان تكون هي قد وجهت دعوة إليه للمكوث معها أثناء متابعته لأبحاثه وبالتالي استنتجت انها لن تستطيع إخباره بالطريقة التي تكلمت بها كاتي

عنه او الأسلوب الذي وصفته به مما دفعها بشكل طبيعي للاعتقاد بأن كاتي كانت متورطة معه عاطفياً، مستبعدة فكرة، ان ما كانت تقوم به هو مجرد مناورة لتجعلها تقبل باستضافته عندها.
سألها ريمون بإصرار:«هل بدوت لك رجلاً قد يتورط مع فتاة، شابة مثل كاتي؟ مع فتاة صغيرة كفاية لتكون بعمر ابنتي؟»
«حسناً... أنا...»
لقد كان غاضباً منها ولا عجب من ذلك اعترفت لنفسها بحرقة.«استطيع ان اتفهم لماذا اعتقدت بأني متعلق بفتاة بجاذبية كاتي وجمالها... لكن ما لا أستطيع فهمه كيف استطعت الاعتقاد بأن كاتي قد تكون مهتمة بي.»
قالت مدافعة عن نفسها:«حسناً... فكرت... فكرت بأنك قد تكون أقل عمراً مما أنت عليه.»
نظر إليها عابساً وقال:«أقل عمراً! اعتقد ان الصور التي لدي في جيب سترتي القديمة قد مضى تاريخها لكني...»
«ومع ان كاتي كانت عقلانية، اعتقدت انها ربما... حسناً، لقد قلت ان بعض الفتيات بعمرها، يبدين بحاجة لمثال أبوي...»
وافقها ريمون:«بعضهن نعم. ولكن ليس كاتي.»
اعتذرت ساندرا بتعاسة:«إني آسفة إذا كنت قد أهنتك.» لماذا كان عليها ان تكون بهذا الغباء؟ المشكلة انها كانت مرتبكة بتعليقاته حول الرجل المسن والفتاة

الشابة، فنسيت أن تحفظ لسانها وتكلمت بعفوية من دون ان تضبط رد فعلها.
أجابها ريمون دافعاً عنه طبقه نصف المتلىء:«إني آسف ايضا.»
اكتشفت ساندرا أنها هي ايضاً قد فقدت شهيتها للطعام. عندما أتى النادل لأخذ اطباقهما، رمقهما باستياء عندما لاحظ أن اطباقهما مازالت مليئة بالطعام. مما ضاعف شعور ساندرا بالذنب.
«لم أكن لأفكر بأنك قد تتخيلين ذلك. كاتي فتاة جميلة، رائعة، شابة نشيطة وذكية، إنها من نوع الفتيات اللواتي يسر المرء في مرافقتهن طبعا من الناحية الجمالية، لكن من الناحية الأخرى... فهي لم تزل فتاة يانعة، لكني لست شابا.» توقف قليلا حين كان النادل يتابع التقاط الاطباق.
كل كلمة كان ينطق بها كانت تزيد من شعور ساندرا بالذنب والخجل. لو فقد زمام نفسه معها أو ثارت ثائرته لكان من السهل عليها ان تعلم ما يجري. لكنها بدلا من ذلك استطاعت ان تشعر بمدى احتقاره وعدم تصديقه، مما جعلها تشعر بالخجل من غلطتها الفادحة وعدم تفهمها.
عندما ابتعد النادل تابع بجفاف:«كما كنت أقول، لا أشعر عاطفيا بأدنى اهتمام او أي انجذاب تجاه كاتي... في الواقع...»
لم يكن باستطاعة ساندرا مجرد النظر إليه. أدركت برعب حقيقي ان دموعها بدأت تتجمع في عينيها وعلى

أهبة السقوط فاحتفظت برأسها منخفضاً محاولة التخلص منها.
كانت الأمسية مشؤومة كفاية ولا تتحمل المزيد من التوتر الذي قد ينشأ عن ذرفها لدموعها.
لكن لا شيء أمكنها فعله لتمنع تلك الدموع الساخنة من أن تجد طريقها وتنحدر بروية لتبلل صفحة وجهها. هذا الوجه الذي تخضب بالدماء الحارة نتيجة لحرجها وخجلها وحتى أنها فوجئت كيف ان دموعها لم تتبخر تحت تأثير تلك الحرارة.
حاولت ان تخفض وجهها أكثر، لكن حركتها جاءت متأخرة بعض الشيء.
سمعت شتائم ريمون الآتية من خلال لهاثه ثم ما لبثت ان شعرت به يقف ليقول لها بإلحاح:«هيا لنخرج من هنا. هذا أمر نحتاج لأن نناقشه على انفراد.»
حاولت ان تقول له إنه ليس هناك أي شيء يستحق المناقشة لكنها بطريقة او بأخرى كانت تقف على قدميها، ذراعاه تحيطان بها، وتقودانها وتدعمانها، وكأنهما تخفيانها عن نظرات الزبائن الفضولية.
سمعته يقول للمالك وهو يدفع الفاتورة بأن زوجته متوعكة قليلا.
ما أرادته ساندرا بكل قوتها هو ان تخرج من المطعم بأسرع وقت ممكن وليس فقط ان تخرج من المطعم، بل ان تتخلص من رفقة ريمون ايضا.
لقد أحرجت نفسها واحرجته هو ايضا. ما قالته كان سيئا كفاية، لكن ان تنفجر باكية على هذا النحو...

تغلغل النسيم الليلي البارد في عروقها مما جعلها ترتجف. فأحاطها ريمون فوراً بذراعه وشدها نحوه لتنعم بدفء جسده، حركته هذه كادت ان تكون عفوية وكأنهما في الواقع زوجان.

«تشعرين بالبرد؟ هيا بنا نعود الى السيارة.» كان قد أوقف سيارته على بعدٍ عدة دقائق من المطعم. وبرغم ان ساندرا حاولت سراً ان تنتزع نفسها منه إلا أنه لم يبد أي رغبة لاطلاق سراحها.

اعتذرت منه عندما وصلا الى السيارة:«إني آسفة لقد تصرفت كالبلهاء.»

فتح ريمون لها الباب الأمامي وقال:«لا تعتذري. إنها غلطتي. أنا من أزعجك.»

قالت ساندرا وهي تقفل باب السيارة في حين كان هو يجلس بجانبها خلف المقود:«لك مطلق الحق لأن تغضب مني.»

جلس بجانبها خلف المقود واستدار نحوها:«اغضب!» نظر إليها في حين كان يحكم اغلاق حزام الأمان. عبس بها قليلاً ثم تابع:«أنا لم أكن غاضباً. لقد شعرت بالخيبة، والأهم لأنك قد اسأت الحكم علي، لكني لم أكن غاضباً، يا ساندرا.»

«لم يكن يجدر بي ان اقول شيئاً. انا...»

«أنا سعيد لأنك قد فعلت. في الواقع...» توقف قليلاً، ونظر إليها ثم سألها بترقب:«هل تعلم كاتي بأنك تعتقدين أني وإياها حبيبين؟»

اعترفت ساندرا:«أجل. لم استطع مبدئياً فهم السبب

لماذا كلاكما لا ترغبان في تمضية الوقت مع الآخر. اعتقدت كاتي ان هذا الأمر يدعو للضحك. أرادت ان تخبرك حينها، لكن... حسناً، أنا طلبت منها ألا تفعل.»

تأوهت فجأة بعدما اعترتها موجة من الاحباط النفسي والعاطفي.

علق ريمون:«انت متعبة. ولا عجب بذلك، بعد ان حاولت نقل ذلك المكتب اللعين ونظفت غرفة النوم وجهزتها لي.»

اجابته بجفاف:«إني في السادسة والثلاثين كما تعلم ولست في السادسة والسبعين.»

كان ريمون على وشك ان يشغل محرك السيارة إلا أنه توقف عن ذلك وتأملها قائلاً:«هل تعلمين، أنها المرة الأولى التي اسمعك فيها تقولين شيئاً إيجابياً عن سنك، انت تبدين أصغر من العديد من النساء في الثلاثينات من أعمارهن. ومع ذلك تعملين جاهدة لتعطي الناس انطباعاً بأنك أكبر بعشرين سنة من سنك الحقيقية. دائماً وفي جميع استجاباتك أمام الناس، تبدين وكأنك تقولين لهم بأنك بعيدة عن ان تكوني امرأة مرغوبة جداً، بل أنك امرأة قد وضعت خلفها كل انوثتها. في هذه الأيام معظم النساء اللواتي في مثل سنك قد يعتبرنها إهانة إذا علق عليهن أحدهم بالقول بأنهن قد انتهين عاطفياً.»

أجابته بجفاف:«انا لست معظم الناس. والدي...»

«احتجزك والدك طويلاً وحرمك التفكير عاطفياً، أجل،

إني اعرف.» ثم تابع بحزم:«ما كدت تبلغين السادسة عشرة من عمرك عندما حملت بكاتي. أنت نفسك لم تكوني أكبر بكثير من طفلة صغيرة، وبعد الإنجاب وطيلة الأيام التي انقضت بعدها اعتقد أنك قد بقيت نائمة المشاعر بالضبط كما كنت عندما حملت بها.»

لم تكن هذه المحادثة من المحادثات التي تتجرأ على مناقشتها معه. لقد كانت محادثة خطرة جداً، قد توقعها في زلات لسان وهي بغنى عنها.

«إذا كنت على وشك ان تسألني لماذا لم أحاول إقامة أي علاقة هذه السنوات، فجوابي أنه من الواضح ان هذه الدوافع منخفضة جدا لدي، هذا إذا لم أقل أنها غير موجودة.» علقت بشراسة وتابعت:«أما الآن هل يمكننا ان نغير الموضوع؟ لقد أتيت بي الى العشاء لنتمكن من مناقشة كتابك الجديد.»

ردد ريمون جملتها بسخرية متجاهلاً القسم الأخير من خطابها:«دافع منخفض جداً. مم... او قد يكون والدك جعلك تشعرين بالندم والخجل من طبيعتك مما دفعك عاطفيا الى كبت هذه الغريزة في مكان عميق جداً من نفسك.»

قاطعته ساندرا:«حسناً إنها ليست نهاية العالم ولا يستحق الأمر كل هذه الأهمية الآن، على أي حال، أليس كذلك؟» ثم تابعت «فضلاً عن ذلك أنا الآن في السادسة والثلاثين من عمري وما أكاد أشعر برغبة في أن...»

قاطعها ريمون:«ها أنت تعودين الى ذلك من جديد.

أنت في الثلاثينات ولا تكادين تشعرين بالرغبة الى ماذا؟ إلى الوقوع في الحب؟ يا للهول لِمَ لا؟ الآلاف يقعن... يومياً في الحب.»

«أجل، مراهقات. أناس في العشرينات من...»

«لدي خال لم يتزوج ابداً، ولم يرغب بذلك مطلقاً، كان قد بلغ الخامسة والستين من عمره عندما كان يقوم برحلة بحرية فالتقى بإحداهن، ووقع فوراً في حبها وتزوجها. لقد احتفلا بعيد زواجهما العاشر، وهو الآن يحبها بنفس القوة والزخم اللذين أحبها بهما عندما التقاها للمرة الأولى. وقبل ان تسأليني، لا، إنها ليست بفتاة شابة، في الواقع لويز أكبر من خالي فراين بثلاث سنوات. لقد عانت حياة صعبة قبل ان يتعارفا. تلك الحياة الصعبة تنعكس قسوتها على ملامح وجهها.» ثم نظر الى وجهها بعاطفة، ومد يده نحوها ليمسح الدمعة عن خدها.

ابتسم ريمون لها ثم أدار مفتاح المحرك لتشغيله.

لم يكن على وشك ان يعانقها، فكرت بحنق، وحاولت ان تقنع نفسها بأن ليس خيبة الأمل ما تشعر بها، بل أنها كانت مسرورة... أجل، مسرورة لأنه اخيرا أدار المحرك ووضع حداً لتلك المحادثة الخطرة التي دارت بينهما.

عند خروج ريمون من المدينة واختراق السيارة الطرق الخارجية المظلمة، تثاءبت ساندرا. شعرت بأنها سوف تموت من التعب. طبعاً بعد كل ليالي أرقها واضطرابها العاطفي. مالت برأسها الى الخلف وألقته على مسند

الرأس في ذلك المقعد الوثير وأغمضت عينيها. فقط لبضع دقائق، لم تكن تريد ان تغرق في نوم عميق. ما أرادته كان فقط عدة دقائق من الراحة والاسترخاء.

رمق ريمون صاحبة الوجه الناعم الجالسة امامه، وعبس باستياء بعدما لاحظ الطريقة التي استلقت بها مبعدة نفسها عنه، حتى اثناء نومها كانت تحاول سحب نفسها بعيداً عنه.

لقد أدهشه الليلة ما قالته عن اعتقادها بأنه متورط عاطفياً مع كاتي، لكن على الرغم من سوء تلك الاقتراحات، فقد خسر العديد من الأمور.

هل يبدو كأحمق، تساءل وعاد يرمقها من جديد. فهي بالتأكيد تملك كل المشاعر الانثوية. لن تستطيع النكران لمدة طويلة.

هل ستتمكن يوماً ما، من ان تتقبل... تتقبل ماذا؟ إنه فعلياً قد وقع في حبها منذ ان وصفتها كاتي له. ولقاؤه الأول بها أكد ما كان قد أحس به؟ لكن حتى ولو قبلت به، هل حقاً ستهتم وتحبه؟

لقد تجاوبت مع عناقه، لكنها كانت استجابة عادية ولم تكن حباً. لقد فكر بأن الأمر ما يزال كما لو أن والدها مازال على قيد الحياة. وبالتالي لن يستطيعا ابداً ان يصبحا صديقين حميمين. لقد أذاها كثيراً، وحطم ثقتها بنفسها وألحق بها الضرر، وحتى لو أنه لم يفعل ذلك عن قصد وخبث.

عندما أوقف السيارة أمام المنزل كانت ساندرا ماتزال نائمة وعندما ترجل من السيارة وجد المفاتيح التي

اعطتها له فذهب وفتح الباب الخلفي للمنزل وبعد عودته للسيارة فتح الباب الأمامي ونطق بإسمها بهدوء.

تململت قليلاً في مكانها، عبست وكأنها سمعته يناديها، ولكنها رفضت ان تستيقظ.

المنطق يقول إن ما يجب عليه عمله هو هزها قليلاً ومناداتها بصوت أعلى. لكن متى كان رجلاً مغرماً، يتصرف بوعي ومنطق، حتى لو كان له من العمر واحد وأربعون عاماً؟ قال ذلك لنفسه بخبث وابتسم، في حين كان يميل نحو السيارة ويفك حزام مقعدها، قبل ان يمسكها برفق ويحملها بهدوء بين ذراعيه.

حين كان يحملها في اتجاه المنزل، بدت وكأنها استكانت بين ذراعيه، تشبثت به وأطلقت تنهيدة وأدارت وجهها تجاه صدره.

أحساسه بأنفاسها الدافئة تداعب بشرته جعله يتسمر في مكانه، واعترته موجة عميقة من الشوق والحاجة جعلته يدرك ان الوقوع في الحب لم يكن الشيء الذي بإمكانه، ولو كان مبدئياً حكراً على الشبان، أن يغزو رجلاً في الحادية والأربعين من عمره، لكن الاسوأ من ذلك وما كان يريده الآن بجنون هو أن يحتفظ بها بين ذراعيه ويعانقها.

لكن حتى وقبل ان يعانقها كان عليه ان يكسب ثقتها، ويعيد بناء شخصيتها وثقتها بنفسها... كان عليه ان يبني جسراً يوصله إليها، ان يبني علاقة متكاملة، كان عليه ان يجعلها تعامله كإنسان وتحبه لشخصه قبل ان يظهر لها مدى رغبته فيها كامرأة.

أفكاره هذه جعلته ينزلها من بين ذراعيه بسرعة عندما وصل إلى المطبخ مما جعلها تستيقظ بدهشة وتحدق في عينيه بذهول.

ماذا كان يجري؟ تساءلت ساندرا وهي ما تزال شبه نائمة. ما الذي كانت تفعله في المطبخ قريبة من ريمون الى درجة تستطيع معها سماع دقات قلبه في حين ان آخر ما تستطيع تذكره هو جلوسها الى جانبه على المقعد الأمامي في سيارته؟ أبعدت رأسها عنه وثبتت نظرها على باب المطبخ الذي ما يزال مفتوحا. هل حقا قطعت كل تلك المسافة وعبرت الباب الى الداخل من دون ان تنتبه لذلك؟

قال ريمون بعد ان عرف ما كان يدور في خاطرها:«لقد حملتك الى هنا.» ثم تابع:«لقد حاولت ان اوقظك، لكنك كنت مستغرقة في النوم.»

لقد حملها الى هنا! رفعت رأسها ونظرت إليه بتعجب. عيناها مازالتا زائغتين مثقلتين بالنوم، في حين كانت ماتزال تشعر بدفئه. لم تشأ ان تبتعد عنه. أرادت ان تبقى حيث هي. أرادت ان...

نظرت الى عينيه، ونظر إليها ريمون وعلم أنه إذا لمسها الآن...

تراجع فوراً مبتعداًعنها في اللحظة نفسها التي انتبهت بها ساندرا الى ما كانت تقوم به، إلى ماذا كانت تدعوه. لقد كانت فعلياً تتوسل إليه ليعانقها. لا عجب أنه كان يرمقها بهذا العبوس. ماذا يفكر فيها الآن؟

تراجعت الى الوراء لا إرادياً، مبتعدة عنه، غير واثقة من أنها قادرة على ان تنظر إليه من جديد.

قالت بسرعة:«إني تعبة. إذا كنت لا تمانع، اعتقد أني سأوي الآن الى فراشي.»

كان قد تأخر الوقت، وكانت على وشك النوم عندما تذكرت أنها وريمون لم يتناولا طعام العشاء بشكل كاف. بالنسبة آخر ما كانت تريده هو الطعام، لكن ريمون...

إنه راشد الآن، ذكرت نفسها. إذا أراد ان يأكل شيئاً فهو بالتأكيد سيحضر لنفسه وجبة سريعة قبل ان يذهب للنوم. فيما هي تستغرق في نوم عميق، ابتسمت لنفسها بحزن، تذكرت والدها، الذي قد يصدم لمجرد سماعه اقتراحها بأنه قد يحضر لنفسه وجبة خاصة به، لكن والدها وريمون كانا مختلفين جدا.

الفصل السابع

مر أسبوع ثم تلاه الآخر. ريمون كان غارقاً في أبحاثه وكتابه الجديد مما جعل ساندرا لا تراه إلا في المساء حين كان يوافيها ليتناولا معاً وجبتهما المسائية.
لقد اضحت تنتظر بفارغ الصبر تلك الوجبات التي كانت احياناً تحضرها هي واحياناً يحضرها ريمون. والآن كونها هي ايضاً بدأت بعملها بمهمة جديدة، كانا يحضرانها معاً هما الاثنان. لقد أدهشها في بادىء الأمر ان يكون هناك رجل بهذه الرجولة وهذا العنفوان يستطيع ان يكون في الوقت نفسه بهذه الليونة وحب المشاركة في المنزل. في احدى الليالي الباردة، بعد ان كانت قد حضرت وجبة من تلك الوجبات المفضلة لدى كاتي، فرح ريمون بهذا كثيراً وأحب مذاقها وطلب منها ان تكتب له كيفية تحضيرها.
في بعض الاوقات كان يناقش ما كتبه معها، ملخصاً لها العناوين الأساسية، راسماً لها خطة عمله. مانحاً إياها لمحة مذهلة عن طريقة بنائه لقصصه ودمجه الواقع في الخيال، وكانت تمر أمسيات ايضاً لا يكادان ان ينطقا بكلمة. لكن حتى ذلك الصمت كان يسوده جو من الراحة والألفة.
في فترة قصيرة من الوقت تعودت على وجوده معها تحت سقف واحد. هذا ما اخبرت به نفسها في إحدى الامسيات حين خابرها من تشستر ليقول لها إنه مجبر

على البقاء في المكتبة ليتحقق من بعض المراجع التي لا يستطيع إحضارها معه الى البيت.
تلك الامسية حين أجبرت على تناول الطعام الذي أعدته، وجدت أنها قد فقدت شهيتها، شعرت بأنها منزعجة ووحيدة وبأن المنزل فارغاً من دونه، أيقنت أنها تفتقد وجوده وتشتاق إليه وتفتقده أكثر من افتقادها لكاتي عندما غادرت للجامعة لأول مرة.
ادركت أنه أصبح مهماً جداً في حياتها. ارتجفت قليلاً وشعرت بقشعريرة باردة تسري في جسدها، نتيجة هذه المعرفة.
بعد عدة أيام عاصفة تخللتها عواصف قوية، رياح باردة وأمطار غزيرة. استفاقت صباح أحد الأيام لتجد ان المطر توقف وأن الشمس عادت لترسل أشعتها من جديد. وتكشف عن الخراب الذي لحق بالحديقة، ودفعها ذلك للتفكير بالقيام بعمل ما لإصلاح الضرر.
أعلن ريمون على الفطور انه ينوي قضاء النهار في زيارة المنازل الأثرية في المنطقة للحصول على المزيد من المعلومات والقيام بالمزيد من الأبحاث.
سألها ريمون:«كيف يسير عملك؟» بينما كان يتناول ابريق القهوة ويملأ فنجانه ثم فنجانها.
«بشكل حسن. لقد انتهيت لتوي من مسودات الرسومات وأرسلتها البارحة. ما عليّ الآن إلا ان انتظر جواب الكاتب على عملي.»
«مم.. حسناً، لماذا لا تأخذين نهار عطلة وتأتين معي؟ سوف أسر جداً برفقة دليل جيد.»

مالت لأن توافقه وتقبل دعوته. ليس هناك ما يسرها أكثر من ان تمضي النهار برفقة ريمون. إلا إذا كان ذلك يشمل بالطبع قضاء الليل معه... ارتجفت بقوة. لقد كانت تعيش في صراع عقيم ضد تلك الافكار الغريبة، المخزية، ضد رغبتها المتنامية في ايصال علاقة الصداقة التي تتنمو بينهما الى علاقة حب، لكن منذ تلك اللحظة التي عانقها فيها ريمون، عمد دائما الى ابقاء مسافة تفصل بينهما. لم يبق أي تلميح في تصرفه تجاهها، يجعلها تشعر بأنه يراها امرأة مرغوبة. هذا بالتأكيد ما كانت تريده... أو ما كانت تقنع نفسها بأنها تريده.

لم تكن واثقة من أنها تستطيع قضاء عدة ساعات وحيدة معه، في سيارته يلفهما جو من الألفة والمودة. نومها ليلة البارحة كان مقلقا من الاحلام المزعجة.

قالت بصدق:«كنت احب ان اقوم بذلك، ولكني نويت اليوم بأن أقوم ببعض الأعمال في الحديقة مستفيدة من توقف هطول المطر.»

نظر ريمون من خلال النافذة:«الطقس سيكون حسناً في الأيام القليلة المقبلة. لماذا لا تؤجلي عملك هذا الى نهاية الأسبوع؟ قد استطيع حينها أخذ فترة راحة ونقوم بأعمال الحديقة معا.»

معا... يا لها من كلمة جميلة تقال. لقد كانت تريد بيأس ان توافقه على اقتراحه وتتجاهل كل تلك الاصوات المحذرة التي تعتمل في داخلها بشدة. ولكن ما يهمها لو علم ريمون أنها تريده وبكل قواها؟

إن هذا الأمر يعني لها الكثير ويهمهما. وبخت نفسها بقسوة. سوف يجد رغبتها به امرا محرجا، وبالتالي سيحبط ذلك، علاقة الصداقة التي كانت تنمو بينهما ببطء.

لذا هزت رأسها بأسف:«لا، حقيقة يجب ان ابدأ بهذا العمل اليوم.»

انتظرت، وقالت في نفسها لو أنه يلح أكثر، لأنها ندمت قليلا على رفضها اقتراحه، لكنه بكل بساطة شرب ما تبقى من قهوته وقال بروية:«حسنا، إذا لم اتمكن من اقناعك في مرافقتي، أرى انه من الافضل ان أذهب الآن.»

بعد قرابة نصف الساعة، القى عليها ابتسامة دافئة وذهب، من دون ان يترك لديها أي شك في ان دعوته لها، لم تكن بدافع مساعدته في ابحاثه، بل لأنه كان يأمل بدفع علاقتهما خطوة الى الأمام.

على الأقل، عندما يكونان في مكان آخر، بعيدين عن الجو العائلي الذي يضمهما في المنزل، ستتاح له الفرصة كي يتقرب منها ويلامسها. فهو يجد صعوبة في مد يد المساعدة لها في المطبخ... في هذه المرحلة من علاقتهما. أما الآن فقد أنب نفسه لتمضية نهار كامل بعيدا عنها، ومن المفترض ان يقوم خلاله بأبحاث غير ضرورية لكتابه الجديد. ألم يكن من الافضل لو بدلا من الطاولة التي حجزها لهما، او بدلا من الخطط التي رسمها بعناية، ألم يكن من الأفضل والأسهل والأكثر نضوجا لو أنه توجه إليها وبكل بساطة أطلعها

على شعوره وسألها إما القبول به او رفضه؟
من المحتمل ان يكون ذلك أسهل، ولكنه ليس متأكداً من أنها ستأخذه على محمل الجد. صحيح أنها قد توقفت عن تذكيره الدائم بسنها مدفوعة برغبة باطنية لأن تضع ذلك عائقاً أمام أحاسيسها، لكنه لم يكن متأكداً إذا كانت تستطيع تقبل نفسها كامرأة مرغوب بها، لدرجة أنه في كل مرة كان ينظر إليها كان يشعر بأنه بحاجة الى كل ذرة من قوة إرادته ليمنع نفسه من أخذها بين ذراعيه.

* * *

صعدت ساندرا من دون أي حماس، الى غرفتها وغيرت ملابسها. ارتدت سروال جينز قديماً وكنزة سميكة.
في المطبخ سحبت جاكيتها السميكة من دون كمين ثم التقطت قفازيها الجلديين الخاصين بالحديقة. وفتحت الباب الخلفي. قد تكون الشمس مشرقة ولكن النسيم كان بارداً. بدأت بتشذيب النباتات علها تدفىء جسدها قليلا.
بعد ثلاث ساعات من العمل الشاق شعرت بالألم ينخر ظهرها. وطاقتها بدأت تذوي. علمت ان عليها ان تكتفي بهذا القدر. لكن ومع كل الوقت الذي انقضى مازال وقت الظهيرة وريمون لن يعود قبل المساء.
شعرت بالتردد قبل عودتها الى ذلك البيت الخالي، لكنها مع ذلك لم تكن بمزاج يسمح لها بمتابعة عملها في الحديقة. تاقت لأخذ حمام ساخن يعيد لها قوتها

ويسمح لها بالاسترخاء. ثم ستشعل الموقد في غرفة الجلوس، بعد ذلك وتتكور على كرسيها لتقرأ كتاباً ما.
اعترفت لنفسها بأن ما تفكر فيه لم يكن الا تساهلاً كبيراً مع نفسها، نزعت الوحول العالقة بأدواتها وأعادتها الى اماكنها قبل ان تجر نفسها بتعب في اتجاه المنزل.
قامت بخلع حذائها أمام المدخل وداست حافية أرض المطبخ، نزعت عنها سروالها وباقي ملابسها حيث كانت واقفة ووضعتها في آلة الغسيل باشمئزاز.
في حمامها الخاص في الطابق العلوي، فتحت صبورة المياه الساخنة وملأت المغطس وأضافت الى المياه كمية وافرة من زيت الحمام الذي أهدته لها كاتي في عيد ميلادها، متنشقة أريجه العطر براحة.
رفعت شعرها وثبتته في أعلىرأسها بربطة شعر زاهية، كانت في الواقع لكاتي. ثم غطست بسرعة في المياه الدافئة حتى غمرتها كلياً.
على بعد لا يتجاوز الخمسة أميال، كان ريمون يحملق بانزعاج في مرآة سيارته، ماذا كان يفعل؟ يدور ويدور بالسيارة من دون هدف، على هذا النحو، في حين ان المكان الوحيد الذي يتوق لأن يكون فيه، هو المنزل مع ساندرا؟
توقف فجأة، تحقق من خلو الطريق، واستدار عاكساً وجهة سيره. من المحتمل ان ساندرا لا ترغب في رفقته، ولكنه بالتأكيد يريد ان يكون معها... إنه بحاجة لأن يكون معها.

رن الهاتف في الطابق السفلي من دون توقف، سمعته ساندرا، لكنها تجاهلت الأمر. وعندما استمر الرنين استفاقت امومتها ودفعتها لأن تنهض من مغطس الحمام وتهرع الى الهاتف. طمأنت نفسها بعد تردد، من المحتمل ان لا يكون من يخابرها، كاتي. وإذا كانت كاتي، فليس من الضروري ان يكون قد حصل لها مكروه.

فتشت عن منشفة، ثم تذكرت انها تركت المناشف النظيفة في المطبخ.

آخر ما كان باستطاعتها القيام به أيام والدها هو ما كانت تقوم به الآن. هرولت بسرعة الى الطابق الأرضي، عارية ومبللة، شاكرة حرارة المنزل التي تؤمنها التدفئة المركزية، معترفة ببعض الفضائل التي تؤمنها لها المعيشة بمفردها.

ما ان رفعت سماعة الهاتف في القاعة حتى قالت لنفسها إنه يجب شراء هاتف صغير لاسلكي تستطيع إدخاله معها الى الحمام.

«أمي.»

«كاتي، هذا انت. ما الخطب؟ هل...؟»

«لا يوجد أي خطَب. انت مرتعبة لقد وجدت متسعاً من الوقت ففكرت ان اتصل بك. لم أقاطع أي شيء مهم، أليس كذلك؟»

قالت لها ساندرا:«كنت استحم. إني اقف في الصالة وأبلل ما حولي بالماء المتصبب مني.»

قالت كاتي محاولة اغاظتها:«مم.. حسناً أفهم من ذلك

انك وحيدة، وأن ريمون غير موجود ليمتع نفسه بهذا المنظر.»

اجابت ساندرا باقتضاب:«ريمون سيمضي بقية نهاره في الخارج.» ثم سألتها:«هل كل شيء على ما يرام يا كاتي؟»

«كل شيء حسن. في الواقع كنت قلقة بشأنك. هل كل شيء على ما يرام بينك وبين ريمون؟ اعني هل كل منكما يتدبر أمره بشكل حسن؟»

قالت ساندرا عابسة:«أجل، نتدبر أمورنا حسناً.» إذ اعتقدت انها قد سمعت صوت سيارة في الخارج.

بدأت ساندرا بالقول:«كاتي، اسمعي، يجب ان اذهب الآن. اعتقد ان احداً ما في الخارج...» وقبل ان تستطيع اقفال السماعة صرخت كاتي بحدة:«انتظري لحظة، يا أمي. اعتقد أني سوف أعود الى المنزل العشرين من هذا الشهر.»

تجمدت ساندرا إذ أنه شعرت بباب المطبخ يفتح. برغم تأكدها من انها اقفلته عندما دخلت، متأكدة من انها قد فعلت، وإلى جانب ذلك لا تعرف احداً قد يدخل بهذا الشكل من دون ان يقرع، إلا ريمون، وهو... وهو...

فغرت فاها، إذ رأت ريمون قد فتح باب الصالة ودخل منه.

لفترة لا تتجاوز الثواني. كانا كل منهما ينظر الى الآخر بذهول. لم تشعر ساندرا طيلة حياتها بأنها أكثر ضعفاً وأكثر غباء. بدا ريمون خجلاً وحاول إبعاد

نظره عنها، لا عجب من ذلك، فكرت ساندرا بتعاسة، وقالت لكاتي بارتباك:«و... أجل، أجل، حسناً جداً، يا كاتي عليّ ان اذهب. أنا...»

كان ريمون قد عاد الى المطبخ رأفة بها. يا للهول لماذا لم تذهب وتأت بمنشفة بدلاً من ان تأتي الى الطابق السفلي على هذا الشكل؟ لماذا لم تقم... بماذا؟ كيف يمكنها ان تعرف أنه سيعود؟

ما ان وضعت سماعة الهاتف وكانت على وشك الصعود الى غرفتها، فتح باب المطبخ للمرة الثانية. تجمدت في مكانها.

قال ريمون بهدوء:«خذي، لقد جلبت لك هذه.»

كان يمسك بمنشفة نظيفة من تلك المناشف التي التقطتها عن حبل الغسيل ووضعتها في المطبخ، على أمل ان تأخذها معها في طريقها الى الطابق العلوي.

اجابته باقتضاب:«شكراً.» وحاول الوصول إليها من دون ان تجرؤ على النظر إليه، لكن وبطريقة ما، انزلقت من بين يديها برغم تأكدها من التقاطها، شعرت ساندرا بارتجاف يتملكها حين لامست أصابعها أصابعه تجمدت من الخوف، تملكها رعب حقيقي إذ أنها شعرت بأن شيئاً ما قد علق في شعرها.

سمعت صوت ريمون الأجش آتياً من فوق رأسها الصغير حين حاولت ان تتحرك:«اجمدي قليلاً. يبدو انك قد علقت، ما عليك إلا ان تقتربي مني قليلاً.» فانتبهت الى ان شعرها قد علق بزر قميصه حين انحنيا لالتقاط المنشفة.

لم يكن بإمكانها القيام بأي شيء إلا ان تقف قريباً منه ومن دون حراك، شعرت ان بشرتها تحترق من الاحراج. بينما كان ريمون يحاول برفق تخليص خصلة شعرها وفكها من زره.

بدا لساندرا ان ذلك استغرق ابداً. كانت تعلم ان كل انتباهه مركز على ما يفعله إلا انها كانت تتعذب وتعاني من وضعها.

ما الذي دفعها منذ البداية لأن تنزل الى الطابق الأرضي على هذه الصورة؟ لم يكن تصرفها هذا امرا تعودت القيام به. في الواقع لقد مرت فترات كانت كاتي خلالها تمازحها في كونها متواضعة جداً في ما يتعلق بجاذبيتها. فقد قالت لها في إحدى المرات، بحدة:«بصراحة، يا أمي، يجب ان تكوني فخورة بجسدك، ولا تحاولي بشكل مستمر ان تخفيه على هذا النحو. فأنت تتمتعين بهيئة رائعة. وتعرفين ماذا يقال عن هذا الموضوع، أليس كذلك؟ إذا كنت تملك شيئاً جميلاً أبرزه، واستفد منه.»

حسناً، لقد احتفظت بنصيحة ابنتها لغاية اليوم، فكرت بارتباك. ماذا قد يكون ريمون يفكر بها الآن؟ هل سيعتقد أنها قامت بذلك عمداً لتوحي له بأنها كانت...

احست قليلاً، بالتعاسة فوراً. قال ريمون بصوت أجش:«إني آسف. تشعرين بالبرد!»

إنه آسف! الذنب ذنبها هي، فهي من وضعت نفسها بهذا الموقف، وليس هو. تساءلت ماذا سيكون رد فعل

ساندرا لو انها أخبرته ان سبب ارتجافها لا يعود الى شعورها بالبرد بل الى ما استنتجته وفكرت به. ارتجافها كان سببه معرفتها بأنه مهما كان عقلها الواعي يعارضه ويبتعد عنه، إلا أنه في لا وعيها هناك أفكار طائشة وخطرة تشوش تفكيرها. وهي المسؤولة عما تشعر به من ارتباك وقشعريرة.

ارتجفت من جديد، إحراجها ولد لديها توتراً جديداً. ومعرفة أنه على الرغم من الملابس التي كان يرتديها، عرفت ساندرا بأن ريمون هو الرجل الوحيد الذي يكمل انوثتها. استطاعت ان تشعر بالحرارة التي تنبعث منه. فارتجفت بعنف ولم تستطع منع نفسها من الاستجابة له. سمعت تمتمات ريمون وفجأة وجدت نفسها حرة وقادرة على ان تتراجع خطوة الى الوراء بعيداً عنه.

حين مال ناحيتها ليثبت لها منشفتها، انتبهت ساندرا ليديه المرتجفتين بشكل واضح.

اعتذرت بصوت أبح:«إني آسفة.»

توقف قليلا عن متابعة حركته ونظر باتجاهها. تلاقت عيناهما. احترقت عيناها بلهيب غير مألوف وتزايدت دقات قلبها.

سألها بنبرة ممغوطة:«على ماذا؟ لأنك سمحت لي برؤيتك هكذا؟»

الطريقة التي نظر بها إليها جعلتها تعي مدى أنوثتها وحقيقتها كامرأة كما لم تفعل طيلة حياتها، ولأول مرة لم تشعر بالندم، والإنزعاج. لأول مرة لم تشعر بالخجل من نفسها، لكن بطريقة ما شعرت بالفخر من

أنوثتها، ادركت مدى قوتها وإمكانية قدراتها، أدركت أنها كامرأة جميلة من الممكن ان تغدو محور اهتمام كل رجل.

اعترتها موجة من المشاعر والاحاسيس جرفت عوائق السنين وكبت الذات عنها بثانية، شعرت بنفسها ووعت لذاتها، بعنف وقوة مما جعلها تحس بألم في مفاصلها. اقتربت خطوة باتجاهه، متجاهلة كل شيء آخر وكأنها أرادت ان تشاركه هذه المشاعر التي تعتريها. لكن ما لبثت ان قمعت هذه الرغبة فيها بعنف حين سمعت ريمون يضيف بتردد:«أجل، يا ساندرا، وأنا كذلك.»

تجمدت فوراً في مكانها وعادت إليها كل هواجسها وأضيفت إليها الاحساس بالإذلال والخجل. بالطبع فهو لا يريدها، لا يرغب بها. بالطبع لم يكن يوحي لها...

بدأت ترتجف بعنف، وشعرت بالدموع تحرق عينيها.

«ساندرا، ما خطبك؟ ماذا أصابك؟»

عواطفها كانت أعمق من ان تسمح لها بالكلام. كان لا يزال يمسك منشفتها وفجأة لدهشتها فتحها لها وقال لها برقة:«هيا تعالي هنا...جففي نفسك قبل ان افقد كليا السيطرة على نفسي وتخونني أعصابي.»

ثم سألها سألها بصوت أبح وهو يقودهاالى الطابق العلوي:«هل لديك ادنى فكرة عما تفعلينه بي؟ انت وأنا علينا ان نتحدث. إني آسف إذا كنت قد سببت لك صدمة بمجيئي باكراً على هذا الشكل غير المتوقع، لكني لم أكن...»

تململت ساندرا بعدم ارتياح، متوقعة ما كان هو على وشك ان يقوله. لكنها كانت عاجزة عن وضعه في كلمات واضحة محددة. بالطبع لا، ذلك؟ لم تكن تعلم أنه سيعود باكرا.

كان على وشك ان يضعها على سريرها عندما شعرت بتقلص عضلاته فأطلقت صرخة عالية، الحقتها بتنهيدة حادة. فتجمد ريمون.

تملكها الغضب وعدم التصديق. لكن الاسوأ، كان الشعور بالذل ما ان ابتعدت عنه بهدوء.

نظراته مركزة فوق كتفيها قال بخشونة:«إني آسف، لم يكن يجدر بي ابدا أن...» ابتعد عنها فيما بقيت مجمدة من التعاسة وشعورها بالنبذ، غير مدركة لما قالت او فعلت وأدى الى رد فعله هذه وابتعاده عنها بهذا الشكل.

قال بهدوء:«أنا... أنا يجب ان اخرج. لست متأكداً متى سأعود.»

عجزت عن الحراك، عن الكلام او عن القيام بأي شيء إلا عن ان تغمض عينيها وتختبيء وراء الألم الذي اعتراها. الى ان سمعته يغادر.

شعرت بالعذاب يمزقها، يكبلها ويزيد من العوائق والآلام التي طالما اعترتها وسببت لها عذابا وكرها للذات.

كيف استطاعت ان تتصرف على هذا النحو؟ كيف أمكنها ان تكون بهذا... الاستهتار؟ وهي التي، طالما أكدت له بأنها لا تريده.

حسناً، إنه يعلم الحقيقة الآن، يعلم أنها كانت تكذب ولا عجب انه ابتعد عنها بهذا الازدراء.

كانت ما تزال ترتجف عندما غادرت سريرها، شعرت بضعف جسدها الواهن وبيديها المرتجفتين حين ارتدت ملابسها.

ماذا كان سيحدث لو لم يتوقف عندما فعل؟ ماذا كان سيحدث لو أصيب مثلها بالضعف وتغلبت عليه رغبته وحبه!

جلست على سريرها، غطت وجهها بيديها، ارتجف جسدها وغص حلقها بتنهيدات يائسة ساكنة. لأن الحقيقة أصبحت واضحة لها.

لقد وقعت في حب ريمون. ما انتابها لم يكن مجرد رغبة ايقظت مشاعرها. لم تكن مجرد يقظة متأخرة لرغبتها، للتجاوب مع أول رجل جذاب تلتقيه.

وقعت في الحب. استعادت في مخيلتها تلك اللحظة التي وقع فيها نظرها على ريمون للمرة الاولى، استعادت تلك العواطف التي اعترتها... التي شعرت بها بسرعة وحاولت كبتها بالسرعة نفسها، اعتقاد منها بأنه وكاتي حبيبان. لقد فات الأوان الآن لكي تتمنى لو أنها لم تلتقيه ابدا، لكي تتمنى ان ما تشعر به الآن يظل مختبئاً في داخلها ولا تخبره لأحد.

كانت عواطفها الهائجة الآن أشد إيلاما بآلاف المرات مما لو أنها هوجمت بمئات الابر والدبابيس الحادة. كانت تعذبها وتدخلها في دومة من التعاسة والاحباط.

www.elromancia.com

مضى وقت طويل قبل ان تشعر أنه باستطاعتها النزول إلى الطابق الأرضي. كانت تشعر بالوهن والاعياء في كل جسدها، وفي الوقت نفسه كانت تدرك بألم كيف كان مايزال متشنجا، مايزال تواقا لما خبره.

عندما لم يعد ريمون على العشاء، استنتجت بأنه كان يحاول بقدر المستطاع ان يضع مسافة تفصل في ما بينهما. أوت الى فراشها باكرا، مصممة على ان تعامله بالمثل لكنها لم تستطع النوم. سمعته يدخل عندما كانت ساعتها تشير إلى ما بعد منتصف الليل. أين كان؟ هل كان بمفرده؟

افترستها الغيرة كما تفترس النار الهشيم، مظهرة لها جانبا آخر من طبيعتها. ومضت ساعات، ساعات طويلة جدا قبل ان تستسلم للنوم.

تجنب كل منهما الآخر لفترة ثلاثة أيام. كانا يلتقيان صباحا على الفطور في المطبخ لدقائق مقتضبة. كانت تشارك بسخافة بما يشبه المحادثات التي كانت تدور في ما بينهما بتعليقات مختصرة وإجابات محددة، حاولت من خلالها التهرب من أي مناقشة قد يخوضها. كان الأوان قد فات على أي محاولة لتسترد شيئا من كرامتها بحيث تتأكد من أنه لن يعرف أكثر مما عرف وذلك بالحفاظ على كبريائها، وجعله على دراية بأنه مهما بلغ ضعفها، فهي راشدة وقادرة على السيطرة على نفسها ورغباتها ودفنهما الى لا عودة. ولكن برغم ذلك. فمجرد رؤيته، وسماع صوته... يكفي ان تعرف أنه موجود معها في البيت، حتى تشعر بالضعف.

إذا كان هذا هو الحب لكان افضل بكثير لو لم تختبره، فكرت بمرارة ذات صباح وهي تركن سيارتها في المرآب القريب الخاص بالسوق المركزي وتتوجه نحو المدخل الرئيسي. قفز قلبها عندما حيتها شيلا سيمبسون. ما تريد هو ان تترك بمفردها. لتغرق في تعاستها وشفقتها على ذاتها؟ ابتسمت بأسى وكأنها تؤاسي نفسها.

بادرتها شيلا قائلة حين أدركتها على باب السوق:«أنت محتالة كبيرة، ألست كذلك؟ عندما سألتك إذا كنت تنتظرين زوارا، لم يكن لدي أدنى فكرة بأنك... أعني اعتقدت...؟»

ركزت ساندرا نظرها عليها، باستغراب ملحوظ. وسألتها بحدة:«ماذا تعنين يا شيلا؟» كان عليها ان تتغلب على خجلها وإحراجها وتواجه شيلا لتطلب تفسيرا لما تحاول الإيحاء به، لكنها فجأة شعرت بأنها ليست بحاجة لمثل هذا التفسير، شعرت وكأنها تتغلب على كل تلك القواعد. فهي قبل كل شيء امرأة راشدة وليست بطفلة، لم تكن مسؤولة تجاه أحد إلا تجاه نفسها، لم يعد والدها حيا لكي تقلق من الشائعات التي تتناول حاجتها الخاصة.

«حسنا، لا شيء.» تراجعت شيلا الآن وبدت مترددة ثم تابعت:«لكن إذا كان لديك رجل يقيم معك تحت سقف واحد. عليك ان تتوقعي بعض الثرثرات التي قد يطلقها البعض...»

سألتها ساندرا:«أي ثرثرات؟ اننا حبيبان.»

شعرت شيلا ببعض الإحراج لكنها تابعت:«حسناً، نعم.» وافقتها على ذلك بانزعاج. «طبعا لقد قلت إن هذه الشائعات لا بد وأن تكون كاذبة، لكن انت تعرفين كيف هم الناس...»

اجابت ساندرا بحدة:«أجل، اعرف كيف هم بعض الناس.» ثم تابعت طريقها متجاوزة إياها وأضافت بسخرية:« والآن، أرجو المعذرة، يا شيلا، ولكن يجب ان ابدأ بالتسوق.»

عندما تجاوزت نصف الممر تقريباً فقط دافعة عربة التسوق، اكتشفت انها ما تزال ترتجف. أنت تبالغين في رد فعلك، حذرت نفسها ولكن هذا التحذير لم ينفعها بشيء. لكنها لم تكن معتادة على ان تكون محط انتقاد الناس او موضوعا لثرثراتهم وفضولهم. لكنها اكتشفت ان هذه الفكرة لا تزعجها على الاطلاق.

كرهت فكرة ان يتكلم الناس عنها وعن ريمون متناقلين أخبارهما... ومعلقين على الموضوع بالطريقة البشعة والمدمرة نفسها التي طالما سمعتهم يتناقلونها عن الآخرين.

أفكارها هذه جعلتها تشعر بالاحتقار والدناءة... جعلتها تشعر... هزت رأسها محاولة اقناع نفسها بأنها كانت تتصرف كالحمقاء، لكن مشاعر الغضب والتعاسة التي ولدتها تعليقات شيلا، رفضت ان تتركها وحالها. فقد ظلت تدور في رأسها لعدة ساعات لاحقة.

عندما دخل ريمون المطبخ لم تكن بعد قد انتهت من تحضير وجبة العشاء.

عدم توقعها رؤيته، خاصة أنه في الفترة الأخيرة أخذ يمضي ساعات طويلة خارج المنزل ولا يعود إلا في وقت متأخر، جعلها تتجمد في مكانها.

سألها عابساً وهو ينظر إليها:«هل هناك خطب ما؟»

«لم أكن اتوقع عودتك باكرا.»

«لا، اتفهم ذلك.» وافقها وفي صوته نبرة قاسية، زادت من حدة توترها نبرة ساخرة لا تشبه على الاطلاق طريقته العادية في مكالمتها فقد كانت فظة وكأنها ورقة شجرة تحف بقسوة على أعصابها الحساسة.

«لقد عدت لأن هناك امرا اريد ان اطلعك عليه.»

توقفت عما كانت تفعله ونظرت إليه متسائلة. تسارعت دقات قلبها وكأنها طبول تقرع بعشوائية. تملكتها أحاسيس مرعبة وموجة من التعاسة وكأن ساعة الحسم قد اقتربت. أرادت ان تمنعه عن الكلام، عن إخبارها بأي شيء كان ينوي إخبارها به لأنها كانت تعلم بأنه أمر لا تريد ابدا سماعه.

«لقد وجدت مكانا آخر للمكوث فيه.»

قال ذلك فجأة، وكأن نبرته حملت نبرة تحد مما زاد من صدمتها.

لم تستطع الكلام. لم تستطع إظهار أي رد فعل، غير ان تبقى مسمرة في مكانها، تحملق به بذهول صامت.

«يبدو أنه الحل الأفضل في ظل هذه الظروف.» ثم أضاف بخشونة عندما لم تجب:«سوف أقوم بنقل كل أغراضي مساء هذا اليوم.»

أدركت ساندرا ان عليها ان تقول شيئاً ما، ان تجيب بطريقة أم بأخرى، لكنها بكل بساطة لم تستطع الوثوق بما قد تقوله. كانت خائفة من أنها لو فعلت، فهي بالتأكيد قد تنهار او تتجزأ الى مئات القطع، سوف تنهار كليا. لكن بالمقابل كان عليها ان تقول شيئاً، كان عليها ان تدعي بأن هذا الأمر لا يعنيها، بأنها لا تمانع... بأن ذلك لم يفطر قلبها. عادة التأقلم مع أي وضع، وتلك العادات القوية التي كان والدها قد زرعها فيها بعمق عادت إليها الآن وسمعت نفسها تقول بصوت غير مألوف، جامد:«إذا لن أحضر لك عشاءك من الآن وصاعداً.»

تفاهة ما نطقت به، جعلتها تشعر بحاجتها لأن تصرخ بأعلى صوتها وبشكل هستيري لكن وبطريقة ما تمكنت من كبت نفسها، من منع ذاتها من القيام بمثل هذا العمل.

ريمون كان ذاهباً... راحلاً. وكل ذلك بسببها هي. بسبب غلطتها. لو لم تستجب له كالحمقاء... لو لم تظهر له بكل تلك الوقاحة، كم كانت ترغب به... لكن ما نفع لو لم تظهر له بكل تلك الوقاحة، كم كانت ترغب به... لكن ما نفع لوم نفسها الآن؟ ما الهدف من تعذيب نفسها الآن؟ أين هي كرامتها؟ أين هي كبرياؤها واكتفاؤها الذاتي؟

الفصل الثامن

كان ذلك السؤال يهاجم تفكيرها مراراً وتكراراً في الأربع والعشرين ساعة الأخيرة. كما كان عليها ان تراقب بصمت ريمون وهو يحزم امتعته ثم يقوم بنقلها الى سيارته ليعود بعد ذلك ويبحث عنها ليشكرها على كل ما فعلته من أجله.

إنما وقبل ان يرحل، خطا باتجاهها وكان على وشك أن يأخذها بين ذراعيه، لكنه فوراً، أعاد التفكير مليا بحركته هذه فاستدار على عقبيه ورحل من دون ان يلقي عليها كلمة وداع رسمية.

انتظرت حتى تأكدت فعلياً من رحيله قبل ان تطلق العنان لحزنها. ليس بذرف الدموع فقط لكن بألم صامت وتعاسة قاتلة، ملكت جسدها وقبضت على قلبها بعد ان جعلت منه حطاماً. فيما حاولت بشتى الطرق إيجاد وسيلة ما تنشلها من تلك المشاعر المؤلمة التي كانت تعاني منها.

قبل رحيله بلحظة، أعطاها ريمون عنوان مقره الجديد، لتتصل به في حال احتاجت له في شأن ما.

كان من الواضح انه استأجر كوخاً صغيراً في البلدة المجاورة التي لا تبعد أكثر من عدة أميال.

توقف قليلا قبل ذهابه، وكأنه كان على وشك ان يطلعها على أمر ما، لكنه ما لبث ان بدل رأيه وأدار ظهره ورحل بعد ان اعاطها بطاقة كتب عليها عنوانه الجديد.

ما الذي باستطاعته تقديمه لها، غير الشفقة، وهو الشيء الأخير الذي كانت تريده منه؟

استغرقت ثلاثة أيام قبل ان تستطيع إعادة شمل تفكيرها المشتت وتتمالك ذاتها لتستطيع العودة الى العمل. لكنها لم تكن على أفضل حال، غرقت في حزنها وبؤسها، عملت من دون حماسة، شعرت بضعف عزيمتها، لكن ذلك كان افضل من أن تمضي النصف الأول من نهارها، مستلقية على فراشها، عاجزة حتى عن فتح عينيها لمواجهة الأمر الواقع ومتابعة حياتها، ثم تنتظر النصف الثاني من هذا النهار الطويل مستيقظة، تعد الساعات والثواني المتبقية ليأتي المساء وتظلم الدنيا كظلمة قلبها فتنام مع أحزانها.

همست لنفسها، ما كانت بحاجة إليه، هو رتابة يومية بسيطة لكن صارمة تنتشلها من بؤسها وتعيدها الى هذا العالم، كما لو كانت مريضة في طور النقاهة، تعافى من مرض عضال، أضعف قلبها وحطم جسدها، وهذا ما تعانيه، أليست تعاني من مرض مستعص؟ إلا انها لا تختلف عن أي مريض عادي إلا لكونها ترى شفاءها مستحيلا... أفضل ما كانت تتأمل به حاليا هو ان يكون هذا الشفاء ممكنا.

كانت مسرورة لأن كاتي لم تتصل، كانت تشك بقدرتها على اخفاء حالتها العاطفية وتعاستها عن ابنتها. فآخر ما كانت بحاجة إليه الآن هو ازعاج كاتي واقلاقها. وبعد ثلاثة أيام من رحيل ريمون وما ان قطعت على

نفسها وعداً بأن تتناول عشاءها وتعيد تنظيم حياتها وتنجز بعض الأعمال لكي تلجأ الى فراشها باكرا وتستسلم للنوم حتى سمعت صوت سيارة تتوقف في الفناء الخارجي.

دفعتها أعصابها المشدودة، حواسها المتيقظة فوراً لأن تتعرف على صوت محرك سيارة ريمون.

لكن من المستحيل ان يكون هو، من المستحيل ان يكون قد عاد...شعرت بتوترها يقلص أعصابها. تجمدت في مكانها وحملقت بالباب الخلفي.

عندما رأت طيفه المألوف القريب من قلبها يمر بالقرب من نافذة المطبخ، ذعرت وفكرت بأن تهرب فورا وتختفي في غرفتها. لكن ذلك أصبح مستحيلا الآن بعد أن رآها.

عندما قرع الباب سارت ساندرا بتمهل لتفتح له ثم ما لبثت ان تجمدت في مكانها، حملقت به عاجزة بسبب يأسها عن الكلام، أدركت عمق حبها له، كما أدركت مدى الألم الذي سببه لها هذا الحب، لقد عانت الكثير طيلة حياتها وواجهت العديد من الصعاب، لكنها الآن أصبحت متأكدة من أنها لن تستطيع التغلب ابدا على هذه التجربة المؤلمة. هذه المحنة القاسية التي خبرتها برغم كونها في السادسة والثلاثين.

فكرت بأنه قد يكون نسي شيئا وعاد ليأخذه، هذه الفكرة التي طرأت على رأسها جعلتها تتنحى جانبا مفسحة المجال له للدخول.

لا بد وأن تغيير الطقس أو برد الخريف هما ما جعلا

ريمون يبدو شاحباً، ووجهه متعباً فاقد التعابير، هذا ما أقنعت نفسها به وهو على وشك الدخول الى المطبخ.

«كنت اتمنى ان اجدك هنا.» كانت تلك العبارة الأولى التي تفوه بها. لم يكن ينظر إليها مباشرة ولو أن رجلاً آخر هو من دخل عليها وكلمها بهذه الطريقة، بهذا التردد وهذا التوتر لكانت حتماً قد فقدت اعصابها. لكن ريمون لم يقم من قبل باستفزازها. فكرت ان زيارته هذه ليست إلا زيارة مجاملة، شعر ريمون بضرورة القيام بها وبأكبر سرعة ممكنة. ممَ كان يخاف...؟ هل كان خائفاً من ان تفقد سيطرتها على نفسها فترمي نفسها بين ذراعيه، متوسلة كي لا يتركها، كي يرغب بها ويحبها؟

شعورها باحتقارها لذاتها كان مازال مستبداً بها. يعذب كيانها ويقلق تفكيرها، ويجعلها تشعر بالغثيان.

إنها تدرك الآن ماذا أصابها. إنه مرض الحب. كانت تعتقد بأن هذا المرض لا يصيب إلا المراهقين، لكنها الآن فقط اكتشفت كم كانت مخطئة.

«هل تقومين بأي عمل هذا المساء؟»

جاء سؤال ريمون جافاً، فظاً، نبرته حادة تختلف عن أسلوبه الرقيق الممتع الذي تعود ان يخاطبها به، نبرته جعلتها ترفع عينيها بدهشة وتجيب من دون تفكير.

«لا، ليس تماما. كنت أنوي القيام ببعض الأعمال لكن...»

«حسناً، إذاً انت غير مرتبطة، لذا سوف تقبلين دعوتي للعشاء.»

مجدداً، الطريقة التي قاطع بها ريمون جملتها المترددة كانت ايضاً غير مألوفة، تماما مثل النبرة التي صدرت عنه منذ قليل.

أضاف بحدة:«هناك شيء أريد ان اناقشه معك.»

قفز قلبها من مكانه، ماذا يريد منها الآن؟ بماذا يريد محادثتها؟ هل تشعر أنه ليس كافياً انتقاله من منزلها، وأنه يجب ان يصارحها بذلك شفهياً. يقول لها صراحة بأنه لا يريدها؟ هل يعتقد أنها حمقاء لم تفهم ذلك بعد؟

«لا اعتقد أن...» اوشكت ان تقول: لا اعتقد ان ذلك ضروري، لكن وللمرة الثانية لم يسمح لها ريمون بأن تتابع جملتها بل قاطعها متوسلا:«ساندرا، ارجوك... لم أكن لأضغط عليك بهذه الصورة، ولكن صدقيني، الأمر ضروري.»

لكن ماذا كان بإمكانها ان تجيب؟

أجابت بتردد:«حسنا... حسنا، ما دمت مصراً.»

«سوف انتظرك هنا، إذا سمحت طبعاً، بينما تحضرين نفسك.»

سوف ينتظرها؟ حملقت به بذهول. كانت الساعة السادسة مساء تقريباً، لن يستغرق منها أكثر من نصف ساعة لتغتسل وتبدل ملابسها. ليس لديها أدنى فكرة عن المكان الذي ينوي اصطحابها إليه. لكن الوقت ما زال مبكراً لكي يصطحبها مباشرة الى

العشاء؟ إلا إذا كان طبعاً يريد إنهاء مهمته بأسرع وقت ممكن.

«حسنا، إذا كان هذا ما تريده.»

نظرت إليه نظرة متسائلة، مترددة مما دفعه لأن يجيبها بابتسامة دافئة رقيقة، هزت كيانها وشلت تفكيرها. وكأنها تحت تأثير مخدر ما.

سارت كالعمياء باتجاه الباب، فتحته وكانت ما تزال على السلالم عندما انتبهت الى أنها لم تسأله الى أين سيصطحبها. لكن إذا كانت ستجلس بجانبه تستمع إليه وهو يشير الى أنه قد عرف الحل وأنه لمصلحتهما معاً أن يفترقا، لأنه لا يستطيع ان يبادلها حبها. ما عليها إلا ان تبدو في أحسن حالة وأجمل هيئة، عليها ان تبدو كامرأة مغرية جذابة، بإمكانها شد انتباه أي رجل بدلا من ان تبدو كإمرأة تدرك أعماق ذاتها أنها قد نبذت عاطفيا، ونفسيا، وبكل الطرق من قبل الرجل الوحيد الذي أحبته.

استحمت بسرعة ثم ارتدت الملابس ذات القماش الحريري الرائع، تلك التي اهدتها إياها كاتي في العيد الماضي، معتبرة انها من نوع الملابس التي يجب ان تتواجد في خزانة كل امرأة.

«لكنه غال جدا.» اعترضت ساندرا حينها وما ان فعلت حتى لمحت تعبري الغضب المزوج بالحنان يعبر وجه ابنتها التي شعرت فورا بالألم يخترقها، حزنا على قلة خبرة والدتها وعدم معرفتها بكيفية التمتع بجاذبيتها. لكن، الآن وبعدم مبالاة نبذت فكرة العودة الى الوراء،

التحفظ والانغلاق لن يجدياها نفعاً. بدلاً من ذلك وضعت ذلك الرداء الحريري البارد عليها.

تساءلت وهي تسخر من نفسها، لماذا تعاني من كل تلك الحيرة من أجل رجل على وشك ان يخبرها بأنه يرفضها ولا يبالي بحاجاتها التي اكتشفت وجودها مؤخرا في حياتها، وكأن حظها المؤلم يحاول ان يسخر من اكتشافها هذا.

غير متأكدة تماما من المكان الذي قد يصطحبها إليه ريمون ومدركة بأنه ينتظرها في الأسفل، لم يكن باستطاعتها التردد حول ما تريد ارتداءه. فاختارت ثوبا جنونيا ذا لون أحمر زاهيا، كانت قد اشترته في الشتاء ما قبل الماضي ثم أهملته في خزانتها كونه ملفت للنظر وبالتالي لا تستطيع ارتداءه بشكل دائم.

ياقته عريضة عالية تلف كتفيها بأناقة، كمان طويلان مع شال رقيق ينحدر بتهدل ليصل إلى منتصف ركبتها ولكن على الرغم من كونه فضفاضا لم يمنع ذلك كاتي ذات مرة، من ان تصرخ عند رؤيتها. «أووه... أمي انه رائع.»

هذه الاووه كان سببها بشكل أساسي ذلك الخط الطويل من الأزرار الناعمة التي زرعت على الثوب من أعلى الصدر وحتى الخصر مثبتة بعروات سوداء انيقة المظهر.

تذمرت وشعرت بالحيرة والارتباك من تعليقات ابنتها، لم تستطع ان تفهم لماذا تعتبر كاتي ثوبها هذا مغريا جدا، كل ما استطاعت كاتي قوله كان:«إنها الأزرار...

هناك شيء يتعلق بها، شيء يجعل أي رجل عاجزاً عن المقاومة.»

ترددت واحمرت وجنتاها. شعرت بعدم ارتياح. هل كانت فعلاً صادقة مع نفسها في ما تفعله؟ هل تقبلت حقاً بأن ريمون لا يرغب بها؟

طريقة ارتدائها لثوبها هذا، ألم تكن نوعاً من الغباء التام، ألم تكن محاولة اخيرة منها لتجعله يشعر بوجودها، لتجعله يرغب بها... ألم تكن كذلك؟

عندما ترددت واحتارت ما بين ان تخلع عنها ما كانت ارتدته والعودة مجدداً الى مظهرها العادي، سمعت تحركات ريمون في الطابق الأرضي، اتخذت قرارها بسرعة. لم يعد لديها الوقت الكافي لتخلع هذا الثوب وتستبدله بآخر أكثر بساطة. من الواضح ان ريمون كان قد بدأ يفقد صبره ويندم على اقتراحه. ومن يستطيع ان يلومه على ذلك؟

قبل ان تتوجه الى الطابق الأرضي، تناولت سترتها الصوفية السوداء من الخزانة، ووضعتها فوق ثوبها علها تجد مهرباً لها عبر لونها الكئيب.

رمقها ريمون عندما دخلت الى المطبخ، لكن لم تلمح أي تعبير في وجهه يدل على أنه كان مهتماً ولو قليلا بما ارتدته، بل ظهر كرجل يحمل هما ثقيلا جداً. هما قد احتل تفكيره وعواطفه وأنساه كل شيء آخر.

عندما غادر المنزل، بدا رقيقاً كما كان يبدو دائما. سار أمامها وفتح لها باب السيارة الأمامي وساعدها كي تأخذ مكانها. استطاعت ساندرا ان تلاحظ أنه يحاول

ابقاء مسافة بينهما فيما شعرت به وكأنه يحمل نفسه على عدم لمسها... وكأنه كان خائفاً من ان يفعل.

لا عجب في ذلك، سخرت من نفسها بمرارة، احمر وجهها خجلاً من الاحراج والشعور بالذنب، عندما تذكرت كيف استجابت له بتلك الطريقة المخزية التي لم تشجعه فقط على التودد إليها، بل وكأنها توسلت إليه بصمت أن يستمر في ما يفعل.

غرقت في تلك الذكريات المزعجة فارتعشت بحدة، إلا أنها احتفظت بنظراتها مسمرة على المناظر المظلمة المحيطة بها.

شعرت بريمون يدخل السيارة الى جانبها ثم يصفق الباب وراءه ويدير محرك السيارة. رفضت بحزم الخضوع لرغبتها في ان تنظر إليه، تحدق به وتدرس ملامحه لتحتفظ بذكريات جديدة عنه، تؤاسيها أيام وحدتها. لكن ما الهدف من معاقبة نفسها بهذه الطريقة؟

جلست من دون حراك في السيارة الى جانبه، تحملق في الظلمة السائدة من دون أدنى فكرة، إلى اين سيذهبان. مدركة فقط لتلك الأميال التي كانت السيارة تقطعها بسرعة، لذلك شعرت بنوع من الاندهاش عندما انعطف بالسيارة الى قرية وبدأ بتخفيف سرعته. ثم ما لبث ان أوقف السيارة أمام واحد من الأكواخ العديدة التي امتدت على طول الطريق.

عندما أدارت رأسها لتنظر إليه، قرأ السؤال في عينيها فقال ببساطة:«ما أنا بصدد قوله لك، ليس سهلا. لذلك

فكرت بأنانية انه قد يكون من الأفضل ان يقال ونحن على انفراد.»

شعرت بتقلص عضلات معدتها، شعرت بالألم والتعاسة تخفق في قلبها وتعذب كيانها. كيف كان يتخيل رد فعلها على ما يريد قوله؟ هل اعتقد أنها ستقوم بمشهد يتطلب منه ان يبادلها حبها؟ كبتت رغبة قوية بأن تطلق ضحكة تعبر عن ألمها وتعاستها، رغبة بأن تقول له إنه ليس من حاجة لأن يستمرا بذلك التعذيب الصامت لكليهما، بأن تخبره بأنها تعرف بدقة ما يريد ان يقوله لها، وبأنه يجب ألا يعتريه كل ذلك الخوف. قد تكون عاجزة عن السيطرة على مشاعرها، وقد تكون عاجزة عن تدمير واقتلاع ذلك الحب العنيد المقاوم الذي يتنامى باستمرار في داخلها، لكنها قادرة وسوف تعمل على قمع ذلك الحب من ان يقيده. لكن ريمون خرج من السيارة واستدار ليفتح لها الباب.

لم يكن لديها خيار آخر إلا ان ترافقه بصمت عبر البوابة الصغيرة إلى ممر ضيق يؤدي الى باب الكوخ الأمامي.

في الداخل، كان على ريمون ان يخفض رأسه قليلاً ليتفادى الارتطام بأعلى باب غرفة الجلوس المنخفض.

أثاث الغرفة كان رثاً وقديماً، لكن على الأقل كانت هناك ناراً دافئة ينبعث وهجها من المدفأة مما لطف من قساوة تلك الجدران.

قال ريمون وكأنه شعر بانتقادها الصامت:«لم يتسن

لي الوقت الكافي بعد لأهتم بالغرفة وأعيد زخرفتها. لقد كنت محظوظاً بأني قد وجدت مكاناً كهذا لاستئجاره. يبدو أن مالكه قد توفي السنة الماضية، والوريث كان مترددا بشأن بيعه او الاحتفاظ به ليستفيد من الايجار. علينا ان نتناول طعامنا في المطبخ، إني آسف، فهو لا يقارن طبعاً بمطبخك، إنه بدائي وبسيط صراحة، إني افتقده أكثر مع حلول الشتاء.»

كانت على وشك القول، إذا كنت مشتاقاً إليه لهذه الدرجة يمكنك ان تعود ساعة تشاء، لكن كبرياءها منعتها. قد يكون هذا أغبى ما يمكن قوله، اضف الى ذلك، أنه من دون جدوى.

بدلا من ذلك، قالت فجأة وبصدق:«أنا آسفة، لكن لا اعتقد أنه باستطاعتي تناول أي طعام. لقد قلت إنك تريد ان تتكلم معي. ألا يمكننا أن نبدأ؟»

توقفت ثم نظرت بعيداً عنه، عاجزة عن المتابعة.

«ادخلي واجلسي.»

اعتقاداً منها بأنه سوف يجلس على المقعد الواسع بين المقعدين اللذين يحيطان بالموقد، توجهت الى المقعد المقابل، لكنها وفجأة مالت إليه مما دفعه لأن يرفع ذراعيه فوراً ليمنعها من ا لوقوع، كما اعتقدت، لكنه بدلا من ذلك عانقها فجأة بقوة كما لم يعانقها من قبل، ضمها إليه حتى انها ما كادت تلتقط نفسها.

قال بصوت أجش:«إني آسف. إني آسف. لكن ما يحدث يقتلني، يا ساندرا إني اريدك، احتاج إليك. أتوق إليك بكل جوارحي، لدرجة اشعر معها بأني

سوف أصاب بالجنون من كثرة التفكير بك، وكل ذلك الوقت كنت مقيداً بذلك الوعد الذي قطعته بأن لا ألمسك طالما أني أعيش تحت سقف منزلك... لكنني الآن لم أعد كذلك. يمكنك ان تطلبي مني التوقف عن ذلك إذا أردت. يمكنك ان تقولي لي إنك لا ترغبين بذلك، إنك لا تريدينني...»

كان يرتجف بعمق وانفعال، اكتشفت فجأة بأنها كانت متمسكة به بالقوة نفسها وقد تاقت إلى عناقه.

كان يهمس في اذنيها بشغف:«احبك، تعلمين ذلك، أليس كذلك؟ وقعت في حبك منذ اللحظة الأولى التي بدأت فيها كاتي تكلمني عنك:(تعالى معي الى بيتنا وتعرف إليها شخصيا إذا كنتِ معجبا بأمي لهذه الدرجة؟) كانت تحاول ان دائما ان تغيظني. (أمي من أشد المعجبات بك وأنا متأكدة من أنها سوف تسر بلقائك.) اقنعت نفسي بأن كلام كاتي لم يكن إلا اعذارا تحاول من خلالها اقناعي بالإقامة معها لأني كنت أفتش حينها عن منزل أقيم فيه، لكي انجز كتابي. قلت لنفسي إن المرأة التي تخلب الالباب... التي تبدو مختلفة... مختلفة جدا كما تصفها ابنتها، من المستحيل ان تكون موجودة فعلا، ثم رأيتك واكتشفت ان لا شيء مما قالته كاتي كان مبالغا فيه.»

امسك وجهها بين يديه لكي يتمكن من النظر في عينيها. وقال لها:«لا تتجرئي ابدا وتسخري مني. حسنا أعلم أني اجعل من نفسي أحمق، وأن الرجال في مثل سني لا يقعون بهذا العمق في الحب، ويصبحون عاجزين

عن القيام بأي عمل سوى التفكير بهذا الحب، لكن هذا لا يعني ان شعوري أقل ألما وعذابا، فقط لأنه من السخيف أن...»

وضعت اصبعها على شفتيه، منعته من متابعة حديثه وقالت بصوت أبح:«لم أكن اضحك، يا ريمون، أنت لا تفهم...»

توقفت قليلاً من الخجل، وغير واثقة مما كانت ستقول، لكنها نظرت إليه وفي عينيها كل تلك المشاعر.

بادلها النظرات ولاحظت أنه يسيطر على نفسه، لكنه فجأة عاد يعانقها، هذه المرة برقة وحنان وبحب لم تكن تحلم بأن يبادلها به. وهي تريد ان يعرف كم هو، ايضا، يعني لها.

سأل وكأنه يحلم وضمها نحوه:«أشعر وكأنني في حلم. لقد أتيت بك الى هنا على أمل ان اكلمك، ان اخطو خطوة تجاهك. ان أظهر لك انه يمكن ان ينشأ بيننا شيء ما. اعتقدت انني قادر على ان اتصرف بتعقل، ان أكبت عواطفي ورغباتي. ان اجعلك تتعرفين علي عن كثب، على أمل ان يأتي يوم ما وتقعين في حبي. اعتقدت أني قد دمرت كل شيء، كل ما بنيته في ذلك النهار، لكن احساسي بك وأنك بين ذراعي، و...»

اسودت عيناه فجأة همس في أذنها:«هل لديك أدنى فكرة عما تفعلينه بي؟»

قالت له ساندرا:«اعتقد ذلك.» وتابعت بخجل:«وإذا كان شيء يشبه ما تفعله بي...»

تركها بسرعة حتى كادت ان تقع. ابتعد عنها وسألها بصوت أجش:«لقد احببتني؟ اردتني كما أردتك؟»
رددت ساندرا:«أليس ذلك واضحا؟»
الابتسامة التي ارتسمت على ثغره جعلتها تتورد خجلا. لقد كانت ابتسامته مليئة بالحب والعطف.
اجابها عابسا:«لا. آه، أجل، اعرف انك قد استجبت لي، لكني اعرف ايضاً انك امرأة من دون خبرات، امرأة لم يسمح لها ابداً بأن تنمي عواطفها.»
اجابته ساندرا بحنق:«تعني انك قد اعتقدت أني تصرفت معك كما كنت سأتصرف مع أي رجل آخر.»
ضحك قليلاً قبل ان يجيبها:«ليس تماما. لكنك قد جعلته واضحا بأنك لم ترحبي بما حدث بيننا، ثم بعدها قمت أنا وأعطيتك ذلك الوعد بأني لن ألمسك ابداً طالما أني اعيش في منزلك. حصولي على هذا المكان كان ضروريا. لكن بعد ذلك، عرفت بأن ليس هناك من سبيل لأن أبقى بقربك وأحافظ في الوقت نفسه على وعدي. وكنت خائفا إذا نكثت بوعدي لك ان اكون بذلك أدمر آخر أمل لي في ان اجعلك تريننني كإنسان وقع بيأس في حبك وليس كإنسان رغب بك فقط.»
«اعتذرت ساندرا بعد ان سمعت نبرة الحزن في صوته:«إني آسفة. لكنك كما تعرف، أني لا أملك خبرة كافية تجعلني أميز الفرق.»
«أعرف ذلك، يا حبي.» عاد وجذبها نحوه وعانقها بحنان. كانت ما زالت تحت تأثير الصدمة مندهشة،

مذهولة لا تكاد تستطيع التفكير، ريمون يحبها. بدا ذلك مستحيلاً ولكنه ليس كذلك.
كانت غير واثقة من نفسها، ومع ذلك، كانت تدرك بألم، عدم خبرتها.
«إذا، انت لا تمانع؟ إنني لست... أن ليس لدي... أن ليس لدي تلك المعرفة والخبرة اللتين يجب على أي امرأة في مثل سني ان تتمتع بهما؟» استطاعت ان تنهي سؤالها بعد تردد.
ساد صمت طويل قبل ان يمسك ريمون وجهها الجميل بين يديه ليجبرها على ان تنظر إليه مباشرة.
قال لها بحزم:«أحبك. هذا يعني أني أحب كل دقيقة، كل ثانية شكلت جزءا ولو بسيطاً في بناء شخصيتك، أحبك كما أنت الآن، شخصك انت. اعتقد أني أعلم تلك الطريقة البائسة، التي منعك بواسطتها والدك من اكتشاف ذاتك، وهذا ما أحب، وذلك ليس له علاقة بما تملكين أو تفتقرين إليه.» جذبها ريمون نحوه، قربها منه أكثر فأكثر. عندما عانقها، تعلق قلبها بسحر هذا اللحظات وقال:«لا يمكنك ان تدركي كم كان شوقي لأن أفعل هذا مرة ثانية.»
«كنت أعلم كم كنت أنا بشوق لذلك، كم أردتك أنا ان تفعل ذلك.»
كلماتها فجرت قوة بينهما... مشاعرها كلها استجابت له، لهمساته، لكل كلمة عشق نطق بها.
حضنها ريمون بحنان، هامسا في أذنها بكلمات تطمئنها، تهدىء من روعها. أكد لها أنه سوف يكون

لهما الوقت الكافي ليكملا معاً هذه المرحلة الرائعة، أنه سيكون لهما كل وقت في العالم كله ليتشاركا الحياة ويتبادلا الحب.

إنه يريدها الى الأبد، هذا ما قاله لها، ليس فقط لهذا اليوم، بل للأبد ويأمل منها أنها تريده وترغب به بالقوة نفسها.

أجل إنها له، إنها تريده. أكدت له ساندرا.

سألها بجدية:«بشكل كاف لأن تتزوجيني؟»

عندها فقط، عندما نظرت إليه رأت الشك، والرغبة في عينيه. عندها فقط علمت أنه في حبه لها كان في مثل ضعفها وهشاشتها.

اجابته بالجدية نفسها:«أجل. كفاية لأن اتزوجك ولأكثر من ذلك ايضا.»

* * *

تزوجا قبل العيد، الاحتفال الهادىء الذي خططا له وأقاماه في البلدة تحول بطريقة ما الى احتفال عائلي واسع..

عائلة ريمون كانت كلها موجودة ولسبب، حتى ساندرا نفسها لم تعرف كنهه، دعت والدة جيمي وإخوته وأخواته وأولادهم ايضا.

أخبرت كاتي بسعادة جميع من استمع إليها بأنها كانت السبب الأول لهذا الزواج وأنها قد عرفت منذ اللحظة الأولى التي وقعت فيها عيناها على ريمون بأنه كان الشخص المناسب لوالدتها.

قالت بحماس لساندرا بعد ان زفت لها خبر زفافهما:«فقط الأفضل، هو ما يلائمك، يا أمي، وريمون هو الأفضل.»

لم يكن باستطاعة ساندرا ان تعارضها بذلك، فحتى الآن لا تكاد تصدق أنها وجدت مثل هذه السعادة.

احمرت وجنتاها بوضوح حين نظرت الى زوجها وبادلها تلك النظرة المليئة بالوعود، التي استطاعت ان تقرأها بوضوح في عينيه، آملة ان لا يكون أحد غيرها فهم تلك النظرة.

كان هناك العديد من الترتيبات عليهما القيام بها. عرض المنزل للإيجار والبحث عن مكان جديد يستطيعان فيه بدء حياتهما الجديدة. ثم إعداد كل الترتيبات الأخرى اللازمة، حتى أنهما ما كادا أن يتمتعا بلحظات انفراد جمعتهما معاً مؤخرا.

همس ريمون في أذنها:«أعتقد ان الوقت قد حان للذهاب. هل قلت لك مؤخرا كم أنا بشوق لأكون معك بمفردنا؟»

أجابت ساندرا بدلال:«ليس في الدقائق الأخيرة.»

هددها قائلا:فقط انتظري. فقط انتظري حتى المساء...»

كانا واقفين معاً يتبادلان تلك النظرات العميقة حتى ان ساندرا لم تشعر باقتراب كاتي منهما إلا بعد ان همست في أذنها:«الطريقة التي تتبادلان فيها النظرات أنتما الاثنان تجعلني أحمر خجلا.»

أجاب ريمون:«إننا على وشك الذهاب.» ثم نظر بحنان

الى ساندرا وأضاف:«هذا إذا كنت جاهزة للإنطلاق، يا حبيبتي.»

أجابته ساندرا بصوت أجش:«إني جاهزة.» في حين ضحكت كاتي بصوت عال ودفعت بهما خارج الباب، قائلة إنهما فعليا الآن، يشعرانها بالإحراج.

تمت

www.elromancia.com
مرمورية